غاندي وسياسة الساتياكراها (اللاعنف) في جنوب افريقيا ١٨٩٣ـ١٩١٤

الاستاذ المساعد الدكتور
كاظم هيلان محسن
جامعة البصرة- كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص

يهتم هذا البحث بدراسة اسلوب الساتياكراها (اللاعنف) باعتباره ظاهرة مميزة في حركات التحرر من الاستعمار. وقد ابتكر غاندي هذا الاسلوب في المقاومة مستفيدا من تجاربه الشخصية ومن معايشته لمعاناة الهنود في جنوب افريقيا من سياسات التمييز العنصري التي كانت متبعة هناك، وحقق نجاحا ملحوظا، اذ تمكن من توحيد الهنود في جنوب افريقيا وقيادتهم إلى تحقيق نجاحات مهمة أعادت لهم الكثير من الحقوق التي سلبتها منهم (الحكومات البيضاء)، فكانت هذه التجربة مرحلة أولى في حركة نضال اكبر وأصعب قادها غاندي ضد الاستعمار البريطاني في الهند، تمكن في خاتمتها من تحقيق الاستقلال لبلاده.

Gandhi and the Satyagraha Policy (non-violence in South Africa 1893-1914

Assist. Prof. Kadim Hailan Muhsen (PhD)
University of Basra- College of Education

Abstract

This research deals with method of satyagraha (nonviolence) as a distinctive phenomenon in the movements of liberation from colonialism. Gandhi invented this method in resistance, taking advantages of his

personal experiences and his contact with the suffering of Indians in South Africa. However, this method has achieved remarkable success there. Gandhi managed to unite the Indians in South African and he led them towards achieving important successes that rewarded them with a lot of rights which had been robbed by the white governments. This experience was a first stage in the movement of the largest and most difficult struggle led by Gandhi in India against British colonialism. At the end he was able to achieve the exploitation of his country.

المختصرات

E.S.C.D.	Eybers. G.W., (ed.), Select Constitutional Documents Illustrating South African History 1795-1910, London Press, (London ,1918).
E.F.A.D.	Enuga reddy and Fatima Meer, passive Resistance 1946, As election of Documents, Fiftieth Anniversary Council 1946 passive Resistance Campaign, (New York, 1996).
S.B.B.D.	Surenbra Bhana and Bridglal Pachai, A Documentary History of South African Indians, ANC press, (South Africa .N.D).

المقدمة :

ابتكر غاندي (Mohandas. K. Gandhi) فلسفة للاحتجاج السلمي وسياسة اللاعنف ضد سياسة التمييز العنصري[1] لمواجهة السياسة العنصرية المتبعة تجاه الجالية الهندية في جنوب افريقيا، هذه الفلسفة التي تحولت إلى أسلوبٍ لنضال الهنود في جنوب افريقيا وفيما بعد أسلوبا لنضال الشعب الهندي للتحرر من الاستعمار البريطاني. ففلسفة غاندي شكلت قيمة أخلاقية كبيرة قبل كل شئ، إذ اعتمدت على التمسك بقيم نبيلة على رأسها عدم استخدام العنف حتى ضد من يستخدم أبشع الوسائل للامتهان من إنسانية الإنسان، هذه الفلسفة التي ألهمت الملايين من أتباعه ومؤيديه. لذا لاغرو ان ينظر إليه الكثيرون بوصفه (قديساً)، زهد في ملذات الحياة من خلال إتباعه

التبتل المطلق في سلوكه الشخصي، وأصبح بذلك رمزاً للإنسان صاحب الحياة السهلة البسيطة التي يرافقها الفكر السامي، لذا الصق الهنود باسمه لقب (المهاتما) أي الروح العظيمة.

يدرس البحث كفاح الهنود لنيل حقوقهم التي سلبتها سياسة التمييز العنصري التي اتبعها الأوربيون ضد الملونين بما فيهم الهنود، ومن خلال ذلك سنوضح الأسس السياسية والفكرية والروحية لأسلوب المقاومة المتمثل بسياسة الساتياكراها (Satyagraha) التي كانت أساسا ومنطلقاً لتحرير الهنود في جنوب افريقيا. إذ اهتمت الكتابات التاريخية الأكاديمية في تاريخ الهند بدورها الكبير في تحرير الهند، ولم تعطِ مساحة مناسبة إلى نشأة هذه السياسة في جنوب افريقيا ودور غاندي هناك، وهذا ما سنحاول البحث عنه آملين ان يكون هذا البحث منطلقا لدراسات تاريخية أكاديمية لاحقة تهتم بدور غاندي في جنوب افريقيا، بوصف غاندي ابرز زعماء حركات التحرر في العالم عامة وفي آسيا خاصة.

الاستعمار الهولندي والبريطاني في جنوب افريقيا قبل الهجرة الهندية إليها

من المعروف ان حركة الاستكشافات الجغرافية قادت بعض الدول الأوربية إلى الانطلاق بقوة إلى استعمار مساحات شاسعة من الأراضي في قارات العالم الأخرى، وكانت القارة الإفريقية واحدة من الساحات المفتوحة أمام التوسع الاستعماري الأوربي، وكانت بأثر ذلك أيضاً ساحة لصراع القوى الأوربية الطامعة فيها وبثرواتها الطبيعية الكبيرة. وفي إطار هذا الصراع وجهت الحكومة الهولندية التي كانت من الدول الاستعمارية الرئيسة منذ منتصف القرن السادس عشر، متمثلة بشركة الهند الشرقية (The Dutch India Company) [٢]، عام ١٦٥٢ لتنفيذ مشروع تأسيس محطة كيب تاون المعروفة بـ(رأس الرجاء الصالح)[٣]، وتبنى الملاح الهولندي جان فان ريبك(Jan Van Riebeck)[٤] مهمة إنشائها في العام نفسه، لتمكين سفن الشركة من الحصول على المؤن الغذائية والعلاج والإمدادات الأخرى. ولم يكن تأسيس المحطة معنياً بالاستثمار أو الغزو في جنوب افريقيا قدر ما كان محطة للخدمة ملحقة بمشروع التوسع الهولندي في جزر الهند الشرقية[٥].

واجه ريبك في مهمته صعوبات جمة، سيما في المجال الزراعي، الأمر الذي دفعه إلى جلب أعداداً كثيرةً من الأيدي العاملة الماهرة الأوربية، لسد النقص الحاصل في هذا المجال، فضلاً عن استقدام عدداً من الجنود لغرض الدفاع عن المحطة، وذلك من خلال الوعود بمنحهم قطع الأراضي

مقابل جهودهم. وبعد الحصول على موافقة الشركة، توجه الكثير من الفلاحين الهولنديين الذين أصبحوا يعرفوا باسم الافريكانز البوير (Boer Afrikaners)[٦]، الذين يعتنقون المذهب البروتستانتي من هولندا إلى جنوب افريقيا، ذلك للتخلص من الضغط الكاثوليكي أولاً [٧] ، وللحصول على فرص العمل ثانياً. فمنحوا قطع الأراضي في وادي ليزبك شمال مدينة الكيب عام ١٦٥٧. وعد هذا التاريخ منطلقا للاستعمار الهولندي لجنوب افريقيا، وتحولت محطة الكيب إلى مستعمرة وقاعدة للتوسع في جنوب افريقيا[٨].

ولغرض السيطرة على نشاطات الافريكانز البوير، اتخذت الشركة جملة إجراءات عرفت بـالتنظيمات الرسمية[٩]، إذ فرضت عليهم الالتزام بالدفاع عن المستعمرة إلى جانب العمل في الزراعة وتوفير المؤن الغذائية لسفن الشركة، ودفع ما نسبته ١٠% من ماشيتهم إلى الشركة مقابل حق الرعي، الأمر الذي أدى إلى خفض أسعار بيع المنتجات الزراعية والتقليل من فرص تسويقها[١٠].

أضطر الافريكانز البوير تحت وطأة هذه التنظيمات التحرك خلف حدود الكيب نحو الداخل في جنوب افريقيا، ذلك سعياً للحصول على أراضٍ أكثر ملائمة للزراعة والرعي. وتزامن هذا التحرك مع إلغاء قانون نانتز (Nantes) الفرنسي الذي ظل يحمي البروتستانت الهيكونوت (Huguenots)[١١] في فرنسا من الاضطهاد الكاثوليكي طيلة سبع وثمانون عاماً بأمر من لويس الرابع عشر، ملك فرنسا عام ١٦٨٥. وتحت ظِل المذهبية البروتستانتية هاجر الآلاف من الهيكونوت الفرنسيين من فرنسا إلى مستعمرة الكيب للإقامة الدائمة، الأمر الذي أدى إلى رفع النسبة السكانية الأوربية في الكيب إلى مستوى السدس من مجموع السكان الذين قارب عددهم ستة ملايين[١٢] للمدة ١٦٨٨- ١٧٠٠[١٣].

أخذ التوسع البويري داخل جنوب افريقيا مداه الأوسع بعد هجرة الهيكونوت إليها، فمناطق سكن البوير كانت لا تبعد أكثر من (٥٥) ميلاً من مستعمرة الكيب عام ١٧٢٠، وبمنتصف القرن الثامن عشر ابتعدوا إلى مسافة (٢٢٥) ميلاً، وبحلول عام ١٧٧٥ كان عدد قليل منهم قد أنتشر على طول نهر فش (نهر السمك) إلى مسافة (٥٠٠) ميل تقريباً نحو الشرق، فتمكنوا من السيطرة على أجزاء كبيرة من هضبة كارو الداخلية Karoo، وكانت أهم النتائج التي أسفرت عنها عمليات التوسع هو إنشاء ولاية كراف رينيت (Reinet Graaf) ولاية ملحقة بالكيب عام ١٧٨٦ لإدارة

المناطق الجديدة[١٤]. ولم يبق في الكيب من البوير إبان الغزو البريطاني الأول[١٥] عام ١٧٩٥ إلا ما يقارب (١٦٠٠٠) نسمة[١٦]. ويبين الجدول التالي النسب المئوية للتركيبة العرقية للسكان في جنوب افريقيا عامة وللمدة (١٩٠٤ – ١٩٦٠)[١٧]:

السنوات	البيض	الأفارقة	الأسيويين	الملونين
١٩٠٤	٢١,٦	٦٧,٤	٢,٤	٨,٦
١٩١١	٢١,٤	٦٧,٣	٢,٥	٨,٨
١٩٢١	٢١,٩	٦٧,٨	٢,٤	٧,٩
١٩٣٦	٢٠,٩	٦٨,٨	٢,٣	٨,٠
١٩٤٦	٢٠,٨	٦٨,٦	٢,٥	٨,١
١٩٥١	٢٠,٩	٦٧,٥	٢,٩	٨,٧
١٩٦٠	١٩,٤	٦٨,٢	٣,٠	٩,٤

التركيبة العرقية في جنوب افريقيا (١٩٠٤-١٩٦٠)

بعد أن اندحرت هولندا عام ١٧٩٥ أمام فرنسا في سلسلة الحروب الأوربية النابليونية، استبقت بريطانيا فرنسا في مهاجمة الكيب، وبعد المقاومة الضعيفة التي أبداها البوير تمكنت بريطانيا من احتلال الكيب، لكن هذا الاحتلال لم يدم طويلاً، إذ أنهى صلح إميان[١٨] عام ١٨٠٢ الحكم البريطاني للكيب، ونقلت إدارة المستعمرة إلى جمهورية باتافيا (Batavia) [١٩] الموالية لفرنسا، وبعد تجدد الحروب الأوربية هزمت هولندا أمام الأساطيل البريطانية عام ١٨٠٦، فهاجمت بريطانيا الكيب واحتلته للمرة الثانية، وترسخ التملك الفعلي والدائم للمستعمرة بتوقيع اتفاقية لندن[٢٠] عام ١٨١٤، ودفعت التعويضات عنها إلى ملك هولندا بموجب مقررات مؤتمر فيينا[٢١] عام ١٨١٥. وهكذا أصبح البوير في جنوب افريقيا مرغمين رعايا للحكومة البريطانية[٢٢].

وتحت ضغط السياسة والقوة العسكرية والقوانين التي جاءت بها بريطانيا في لائحة التنظيمات الرسمية، اضطر البوير إلى النزوح خلف حدود الكيب والتوسع في احتلال الأراضي الجنوب افريقية عام ١٨٣٦ وعرفت هذه الحادثة بـالهجرة الكبرى (Great Trek). ومن أهم الأسباب والدوافع التي ساهمت في الهجرة رغبة البوير في الحفاظ على جنسهم والنأي بأنفسهم بعيداً

رغبة منهم في عدم الاختلاط مع الأجناس الأخرى سيما الجنس الإفريقي الأسود طبقاً لفلسفتهم العنصرية وعقيدة الشعب المختار[٢٣]، فضلا عن إن القوانين البريطانية في المستعمرة بدت لهم وكأنها حالة إقحام لنظام قضائي مؤثر في تراث البوير وثقافتهم الهولندية ومذهبهم البروتستانتي، في الوقت الذي انتشرت فيه الشائعات القائلة بفرض نظام الزواج المختلط بين السود والبيض، ومشروع القضاء على لغة البوير وديانتهم التي لوحت بها الجمعية التبشيرية في لندن[٢٤]، ولا يمكن إغفال اثر السياسات الرسمية البريطانية وسياسة الإرساليات التبشيرية التي كانت تتعارض تعارضاً واضحاً مع وجهه نظر البوير في معاملة السكان الأصليين وممارسة سياسة التمييز العنصري ضدهم، سيما بعد إن أصدر مجلس العموم البريطاني قراراً يقضي إلغاء تجارة الرقيق في المستعمرات البريطانية كافة بما فيها مستعمرة الكيب عام ١٨٣٣ في جنوب افريقيا[٢٥]، التي كانت من الأسباب الهامة وراء الهجرة البويرية عام ١٨٣٦، إلى جانب أسباب أخرى تمثلت بالبحث عن مكان آمن، وضرائب اقل، وأراض أوسع، فضلا عن عدم اطمئنان البوير لحقوق ملكيتهم في ظل القانون البريطاني، والسخط من مقاومة السكان الأصليين، إلى جانب الجفاف الذي دام عامين عند حدود الكيب[٢٦].

كان الميل لدى بريطانيا بعد الهجرة البويرية يتجه إلى إقامة الاتحادات السياسية الكبيرة في جنوب افريقيا وهو الصفة الغالبة منذ عام ١٨٥٨، نتيجة للتنافس بين القوتين الأوربيتين البريطانية - والهولندية (البويرية) لتحقيق أكبر المكاسب أحياناً، والتقارب فيما بينهما في رسم السياسات المشتركة إزاء السكان الأصليين أحياناً أخرى، إذ كان هذا التنافس والتقارب باعثاً لتمزيق أوصال الجنوب الإفريقي والاتجاه نحو إقامة الاتحادات السياسية الأوربية فيه[٢٧].

اتخذت هذه الاتحادات أشكالاً عدة، منها الجمهوريات ومنها الدويلات الصغيرة التابعة للبوير، فضلاً عن المستعمرات التابعة لبريطانيا،إذ أقام البوير خمس جمهوريات هي: الترانسفال، اورنج الحرة، وزاوتبانسبيرغ، وليدنبيرغ، وأوترخت، أما بقية الوحدات السياسية فكانت تابعة إلى بريطانيا وهي مستعمرات الكيب والناتال وكفراريا[٢٨].

شهد عام ١٨٥٨ اتحاد جمهوريتي ليدنبيرغ واوترخت، وقبول زاوتبا نسبيرغ دستور جمهورية الترانسفال[٢٩]، وأعقب ذلك اتحاد الجمهوريات البويرية الصغيرة الأخرى مع جمهورية الترانسفال عام ١٨٦٠، في حين كانت بريطانيا تبحث عن وسيلة مناسبة لجعل التوحيد السياسي

أوثق بين مستعمراتها وبين الجمهوريات البويرية الأخرى، وتتحول الى جمهورية فيدرالية، الأمر الذي وافقت عليه حكومة اورنج الحرة، ورفضته الترانسفال، خشية السيطرة البريطانية وفقدان مكاسبها الاستقلالية[٣٠].

الهجرة الهندية إلى جنوب افريقيا

ترجع بداية نشأة الجماعة الهندية في جنوب افريقيا إلى عام ١٨٦٠، وكان دخولها حدثاً مؤثراً في تاريخ جنوب افريقيا، ففي إطار سياسة بريطانيا الرامية لتعزيز مكانتها في جنوب افريقيا، عملت عام ١٨٦٠ على جلب الكثير من رعاياها، سيما الأسيويين منهم، الذين كانت غالبيتهم من الهنود، للعمل في زراعة قصب السكر، والأعمال الكتابية نظراً لإتقانهم اللغة الانكليزية[٣١]، ونظمت تلك العملية من خلال إبرام الحكومتين الاستعماريتين في كل من الهند والناتال اتفاقاً يقضي بتصدير العمال الهنود للعمل في المزارع البريطانية في مدينة دوربان (Durban) التابعة لمستعمرة الناتال البريطانية، ذلك اثر النقص الحاد في الأيدي العاملة، إذ لم يكن الإفريقيون في ذلك الوقت متقبلين للعمل في مزارع البيض، سيما وإنهم كانوا يملكون أراضيهم ويعيشون على غلتها[٣٢].

وقد جاء المهاجرون الهنود إلى جنوب افريقيا بناءً على عقود مبرمة مع الحكومة البريطانية لمدة خمسة أعوام، وكان للعامل الهندي الحق في التعاقد بنفسه لتجديد المدة لخمسة أعوام أخرى، سواءً كان العمل في المزارع أو أي مجال اقتصادي آخر، وبعد انتهاء العقدين فأن له أن يختار مابين العودة إلى الهند على حساب حكومة الناتال، أو الاستقرار فيها، وفي حالة اختيار الخيار الآخر فانه يمنح قطعة ارض يزرعها، مع التمتع بالامتيازات كافة التي يتمتع بها السكان البيض. وقد اختار اغلب الهنود الاستقرار في جنوب افريقيا[٣٣].

ولما كانت الصفة الغالبة لأكثر المهاجرين الهنود هو العمل في الزراعة، استطاعوا بعد تعاقدهم تزويد مدينة دوربان وسد النقص الحاصل فيها من المنتجات الزراعية، أما البعض منهم فقد اتجه إلى العمل في مناجم الفحم والسكك الحديد والبلديات، والطابع الغالب على المهاجرين إنهم أتوا من جنوب الهند، وهم في مجملهم يتحدثون لغتي التاميل (Tamil) وتيلوجو (Telugu)[٣٤].

وتبعاً لتوفر فرص العمل والامتيازات التي حصل عليها المهاجرون الهنود من الحكومة البريطانية، وفدت في ثمانينات القرن التاسع عشر جماعة هندية أخرى عرفت باسم الهنود الأحرار

(Free Indians)، وكان معظمهم من جزيرة موريشيوس (Mauritius) وشرق افريقيا، أما البعض الآخر فقد قدموا من شمال الهند[٣٥]، ولا تشكل هذه الجماعة بأكملها إلا نحو ١٠% من إجمالي عدد المهاجرين الهنود الذي كان عددهم يربو على الخمسة ألاف في تلك الحقبة، وكان اغلبهم يتحدث اللغة الكوجاراتية (Gujarati)، ويعتنقون الدين الإسلامي، وعمل معظمهم في التجارة، سعياً لاستغلال فرص الاقتصاد النامي في الناتال، ومن ثم التغلغل إلى الترانسفال البويرية سعياً لكسب فرص اقتصادية جديدة[٣٦].

نجحت الجالية الهندية في مجالي الزراعة والتجارة والخدمات، وأصبح لهم قوة اقتصادية كبيرة في جنوب افريقيا، وبات نشاطهم الاقتصادي يشكل تهديدا ًللاحتكار الاقتصادي للأوربيين البيض، ذلك من خلال شراء المقاطعات الزراعية والمباني، فتمكن الكثير منهم الارتقاء من مستوى الأجير إلى مستوى المالك، الأمر الذي أدى إلى جذب انتباه الأوربيين سيما البوير منهم، بعد أن فشلت كل المحاولات البريطانية والبويرية في جذب الأفارقة للعمل في المجال الزراعي، وعدم تقبل البيض المنافسة مع طرف آخر سيما في الميدان التجاري، فقد كان الهندي في نظر البيض مجرد (عبد) يقوم بإداء الأعمال لصالح سيده على وفق شروط التعاقد[٣٧]. ووفق لتلك النظرة بدأ البيض يشعرون بالقلق إزاء وجود الهنود في جنوب افريقيا، وعدوه تهديداً للحضارة الغربية، لذا بدأت التشريعات والقوانين تنهال على الهنود من اجل تحديد إقامتهم في جنوب افريقيا، وكان من أبرزها فرض ضريبة سنوية مقدارها ثلاثة جنيهات سنوياً على كل هندي في حال بقائه في جنوب افريقيا بعد انتهاء مدة عقده[٣٨].

غاندي وسياسة التمييز العنصري في جنوب افريقيا عام ١٨٩٣-١٩١٤

ولد موهاندس كارامشاند غاندي في الثاني من تشرين الأول ١٨٦٩ في قرية راجكوب (Rigcob) الهندية من عائلة هندوسية كان لها خبرة كبيرة في السياسة، إذ شغل جده ثم والده منصب رئيس الوزراء في إمارة بور بندر في مقاطعة كوجارت الهندية (Gujarat)، سافر غاندي إلى بريطانيا عام ١٨٨٢ لدراسة الحقوق، وعاد إلى الهند في تموز ١٨٨٩ بعد حصوله على شهادة الحقوق، لكنه لم يحصل على عمل مناسب لشهادته الجامعية، فاضطر للعمل كاتباً للعرائض في الدوائر التابعة للحكومة البريطانية في الهند، ومن ثم تلقى عقداً مع إحدى المؤسسات الهندية العاملة

في جنوب افريقيا، فبدأت مع سفره إلى جنوب افريقيا مرحلة كفاحه السلمي في مواجهة التمييز العنصري، ذلك لما تعرض له من قوانين التفرقة العنصرية هناك، فضلا عما لمسه من معاناة الهنود من سياسات التمييز[٣٩].

وصل غاندي إلى جنوب افريقيا عام ١٨٩٣ ليقف إلى جانب المهاجرين الهنود، وذلك بعد اطلاعه على أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية السيئة بسبب الممارسات العنصرية الموجه ضدهم، وآن له التفكير أن يبقى إلى جانبهم بصفته محامياً للدفاع عن حقوقهم المشروعة كونهم رعايا بريطانيين يدينون بالولاء إلى الإمبراطورية البريطانية آنذاك[٤٠]. وإزاء ذلك دعا غاندي إلى عقد اجتماع موسع في مدينة بريتوريا حث من خلاله جميع الهنود مناقشة أوضاعهم ومشكلاتهم مع الحكومات الأوربية البيضاء. وقد ألقى أول خطاب له في مسيرته السياسية طالب فيه الهنود تجاوز أخطائهم، والاستماع إلى الأوربيين بما لا يشكل ضرراً بحقوقهم المشروعة، وأكد على تجاوز الخلافات الدينية والطائفية، واعتماد الصدق في الميادين كافة سيما التجارية منها، وأكد على المطالبة بالحقوق المشروعة لكن عن طريق (المقاومة السلمية) التي تقوم على أسس دينية وسياسية واقتصادية في آن واحد ملخصها الشجاعة والحقيقة واللاعنف، وتهدف إلى إلحاق الهزيمة بالمحتل عن طريق الوعي والإدراك للخطر الذي يواجهونه، وتكوين قوة قادرة على مواجهة هذا الخطر باللاعنف. وتتخذ عدة أساليب لتحقيق أغراضها منها الصيام والمقاطعة والاعتصام والعصيان المدني والقبول بالاعتقال وعدم الخوف من الموت، ومن شروطها تمتع الخصم ببقية من الضمير الإنساني والحرية للتأثير فيه وتمكينه في نهاية المطاف من فتح حوار مع الطرف الآخر[٤١].

في سياق ذلك، تأثر غاندي بالقراءات التي اطلع عليها خلال حياته، فانعكس على إتباعه مبادئ المقاومة السلمية، فقد تأثر بعدد من المؤلفات كان لها دور كبير في بلورة فلسفته ومواقفه السياسية منها (نشيد الطوباوي)، وهو عبارة عن ملحمة شعرية هندوسية كتبت في القرن الثالث قبل الميلاد وعدها غاندي بمثابة قاموسه الروحي ومرجعا أساسيا يستلهم منه أفكاره. فضلا عن موعظة الجبل (Sermon on the Mount)في الإنجيل [٤٢] ، وقد تأثر بـ(العهد الجديد) الذي يقول غاندي انه وجد "طريقا مباشرا إلى قلبي" وتأثر بمقولة السيد المسيح (ع): "من لطمك على خدك الأيمن فحول له الاخر أيضاً، ومن أراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء". ويصف تاثره بهذه المقولة

"كان تأثيره في نفسي بالغا لا يقاوم"، وقد ولع غاندي بقراءة سير الأنبياء فقرأ لتوماس كارليل **(Thomas Carlyle)** كتاب الإبطال وعبادة البطولة والبطولة في التاريخ (Heroes and **Hero Worship** and the Heroic in History) ، ويقول غاندي: انه من خلال هذا الكتاب "عرفت في نبي الإسلام الفطنة البالغة والشجاعة النادرة، وفي عيسى التقشف والصلابة"[٤٣]. وتأثر غاندي بكتاب حتى الرجل الأخير، للفيلسوف الإنجليزي جون راسكين (Jon Raskin)، الذي مجد فيه الروح الجماعية والعمل بأشكاله كافة، وكتاب الأديب الروسي تولستوي (Leo Tolstoy) الخلاص في أنفسكم، ومؤلفاته الأخرى التي يتحدث غاندي عن أثرها فيه قائلا:"كان لكثير من كتبه اثار في نفسي لن تزول، ومن هذه الآثار اعتقاده ان الحب المتبادل بين شعوب العالم ممكن التحقيق" [٤٤]، وكذلك اثر في غاندي كتاب الشاعر الأميركي هنري ديفد ثوريو (Henry D. Thoreau) العصيان المدني. ويبدو أيضاً تأثر غاندي بالبراهمانية التي هي عبارة عن ممارسة يومية ودائمة تهدف إلى جعل الإنسان يتحكم بكل أهوائه وحواسه بواسطة الزهد والتنسك وعن طريق الطعام واللباس والصيام والطهارة والصلاة والخشوع والتزام الصمت يوم الاثنين من كل أسبوع، وعبر هذه الممارسة يتوصل الإنسان إلى تحرير ذاته قبل أن يتمكن من تحرير الآخرين[٤٥].

بعد النجاح الذي حاز عليه الاجتماع والحضور الكبير قرر غاندي عام ١٨٩٤ أن يؤسس حزب المؤتمر الهندي (Indian Congress Party) في الناتال[٤٦]، ليتولى الدفاع عن حقوق الهنود في جنوب افريقيا، ويساعد الهنود المقيمين هناك على الاهتمام بأوضاعهم الصحية والتعليمية، من خلال تنظيمه للدروس والمحاضرات والمناقشات حول أمور الحياة العامة، ليكونوا مؤهلين للنضال ضد التمييز الذي يعانون منه. الأمر الذي زاد من حدة الضغط الأوربي عليهم، سيما على العمال منهم، الذين وجد الأوربيين فيهم منافساً قوياً في النشاط الاقتصادي، لذلك أصدرت الحكومة البويرية عدة تشريعات جديدة ضيقت فيها الخناق على الهنود لإجبارهم على العودة إلى موطنهم الأصلي الهند، فشرع قانون يمنع الهنود بموجبه من التصويت في الجمعية التشريعية في الناتال، إلى جانب فرض الضرائب الثقيلة على كاهل العمال الهنود، التي بلغت خمس وعشرين جنيهاً على كل عامل انقضت مدة عقده ولم يرجع إلى الهند[٤٧].

تزامنت تلك التطورات مع حرب البوير ١٨٩٩ وأعقبها إعلان ثورة الزولو (Zulu)[٤٨] ١٩٠٢-١٩٠٤ بزعامة قائدهم بامباتا توجيلا (Bambata Tugela)، الأمر الذي وجد فيه غاندي الفرصة المناسبة للتقرب من حاكم الولاية البريطاني سيسل رودس (Cecil John Rhodes) [٤٩]، من خلال عرض المساعدة وتشكيل فرقة هندية تتولى إسعاف المصابين، فجاء الرد بالموافقة. فدعا غاندي الهنود في مدينة دوربان واستثار حماسهم مناشدهم التطوع في الفرقة المزمع إنشائها، وقد رأى رئيس الخدمات الطبية، وتسهيلاً لعمل غاندي ودعماً لمركزه، منحه رتبة الملازم الأول المؤقتة وثلاثة من زملائه رتبة الملازم الثاني[٥٠].

باشرت فرقة الإسعاف الهندية عملها على كل الجبهات، عبر عنها غاندي بالقول: "كان لساني خلالها ينعقد من هول ما كنت أراه من قتل الإنسان لأخيه الإنسان، وكنت كلما خلوت لنفسي استسلمت لتفكير عميق". اتضحت الرؤية لغاندي أنه سيكون مضطراً لمواجهات مماثلة مع الأوربيين. وبعد إن أكملت الفرقة عملها عقب انتهاء الحرب والثورة، تسلم غاندي خطاباً من الحاكم البريطاني نوه فيه بأعمال الفرقة الهندية وشكر لها جليل خدماتها. ونظراً لما رآه غاندي من عمليات القتل والإبادة، اتخذ الخطوة الحاسمة في حياته، فقطع على نفسه عهداً بالتبتل مدى الحياة إذ قال: "إن الحياة من غير تبتل تبدو لي الآن حياة لا طعم لها، أشبه ما تكون بحياة الحيوان، فالحيوان بطبعه لا يعرف كيف يضبط شهواته، أما الإنسان فهو إنسان لأنه يقدر على كبح جماحه إلى المدى الذي يباشر فيه إرادته"[٥١].

تبين لغاندي إن التبتل، على الرغم مما يثيره في النفس من طاقات هائلة، ليس بالأمر السهل على الإطلاق، وليس بالأمر الذي يتعلق بالجسد وحده، فهو يبدأ بفرض القيود على الجسد، ولكنه لا ينتهي عنده، فالمتبتل الحقيقي لا يفكر مجرد التفكير، في إشباع شهوه الجسد، والفكرة الدنسة لا تخطر حتى على خياله، وعليه قبل أن يسمو إلى هذه الحالة أن يقطع شوطاً طويلاً وجباراً من النضال مع نفسه اولا[٥٢] .

أعلن غاندي تطبيق سياسته ونهجه الجديد في جنوب افريقيا عام ١٩٠٢ من خلال تنظيم المظاهرات السلمية والمطالبة بحقوق الهنود المشروعة، ورفع الشكاوى والعرائض إلى السلطات المحلية الحاكمة، وكذلك إلى الحكومة البريطانية في لندن. وقد استطاع غاندي أن يحقق من خلال

تلك المظاهرات والمطالب الإذعان من الحكومات الأوربية البيضاء ومنح الهنود بعض الامتيازات التي أتاحت لهم فرصة الإقامة والتنقل داخل البلد بحرية، فضلاً عن حصولهم على حقوقهم السياسية مثل الاشتراك في الانتخابات والترشيح لها(٥٣). وعلى ما يبدو ان تلك المكاسب كانت داعما قويا لغاندي للاستمرار في كفاحه، فضلا عن أنها أكسبته ثقة متنامية للهنود فيه وفي أسلوبه المتبع في النضال لنيل حقوقهم.

استمرت مكاسب المقاومة الهندية السلمية حتى الثاني والعشرين من آب ١٩٠٦ ، عندما طرحت الحكومة مشروع قرار كان الهدف منه القضاء على الوجود الهندي في جنوب افريقيا، إذ كان القانون المقترح يفرض على كل هندي، رجلاً كان أو امرأة أو طفلاً بلغ الثامنة من عمره، ممن لهم حق الإقامة في الترانسفال أن يسجل اسمه لدى مسجل شئون الأسيويين، وان يحصل على بطاقة بذلك، وكان يتعين على كل من يتقدم بطلب التسجيل، فيما كان يقضي به القانون الجديد، وأن يسلم بطاقته القديمة وأن يدون في طلبه الجديد اسمه ومحل إقامته والطبقة التي ينتمي إليها إلى غير ذلك من البيانات، وان يدون المسجل بدوره ما يعن له من الملاحظات المميزة التي يراها في صاحب الطلب، وان يأخذ إلى جانب ذلك بصمات أصابع يده جميعاً. وكان مشروع القانون نص كذلك على إن كل هندي لا يتقدم بطلب التسجيل قبل انقضاء مدة معينة يفقد حق الإقامة في الترانسفال، فضلاً عما كان ينطوي عليه ذلك من مخالفة للقانون قد تنتهي بصاحبها إلى الحكم عليه بالغرامة أو السجن بل بالطرد من البلاد حسب ما ترى المحكمة. وكان على كل هندي وفقاً ذلك، حتى لو كان يسير في الطريق العام، أن يبرز بطاقته متى طلب منه ذلك، مع منح رجال الشرطة حق الدخول إلى المساكن الخاصة لتفقد هذه البطاقات (٥٤).

أثارت هذه التطورات قلق غاندي الذي سارع إلى عقد اجتماع في اليوم التالي ضم الوجهاء من الجالية الهندية مفسراً لهم هذا القانون، فأدرك الجميع خطورة الموقف وقرروا عقد اجتماع عام في الحادي عشر من أيلول عام ١٩٠٦، اتخذت فيه قرارات، كان أهمها القرار الشهير الذي أصبح يعرف فيما بعد بـ (القرار الرابع) لما سبقه من ثلاثة قوانين بخصوص الإجراءات التنظيمية لحياة الهنود في جنوب افريقية، الذي تعهد فيه الجميع بعدم الخضوع للحكومة ولقوانينها العنصرية مع الإصرار على تحمل التبعات كافة التي تترتب على ذلك من عقوبات وسجن(٥٥)، وتشكيل حركته

الجديدة التي أتت على غرار حركة المقاومة السلمية، التي اختلف المجتمعون في اختيار تسميتها، حتى اقترح غاندي عليهم تسميتها بـ ((الساداكراها Sadagraha)) ومعناها الثبات على الخير، لكن التسمية لم تؤدي المعنى الذي كان غاندي يطمح له فاستبدلها بكلمة((الساتياكراها)) أي اللاعنف واصطلاحاً فان ((ساتيا)) تعني الحق، وتنطوي على كلمة المحبة، و((كراها)) تعني الصلابة، وتنطوي على القوة المنبعثة من الحق والمحبة، أو بعبارة أخرى الحركة ألمنزهه عن كل عنف، فاستغنى غاندي بذلك عن استخدام عبارة المقاومة السلمية واستبدلها بـسياسة اللاعنف(٥٦).

مرر مشروع قانون تسجيل الأسيويين في جميع مراحله المختلفة في جلسة واحدة عقدها البرلمان الترانسفالي في الحادي والعشرين من آذار ١٩٠٧ وحدد الأول من شهر تموز في العام نفسه موعدا لنفاذه، على ان يدعى الهنود للتقدم بطلبات التسجيل في موعد أقصاه الحادي والثلاثين من تموز(٥٧). وقد شهد الأول من تموز افتتاح مكاتب تسجيل الأسيويين، لكن الجالية الهندية اتخذت قرارها بان تضع متطوعيها عند أطراف الطرق المؤدية إلى مكاتب التسجيل لتحذير مواطنيها من مغبة الوقوع في الخطأ وتسجيل أسمائهم في تلك المكاتب. الأمر الذي جعل الإقبال على تلك المكاتب قليلاً بالنسبة إلى عدد الهنود فكان نسبة المسجلين لا تتجاوز الخمسة بالمائة من عدد الهنود في جنوب افريقيا. لذا قررت الحكومة أن تلقي القبض على بعض السكان في مدينة جيرمستون لترهيب الهنود ودفعهم للتسجيل، كان من بين المعتقلين شخص يدعى راما ساندرا (Ramia Saindiria)، وكان من اشد المتحمسين للقضية الهندية، وقد ألقى الكثير من الخطابات المنددة بالسياسات العنصرية ضد أبناء جلدته هناك، يحذر من خلالها الهنود من عاقبة تسجيل أسمائهم. وقد وشى بعض العملاء من الهنود به عند الإدارة الأسيوية التابعة للحكومة البويرية مؤكدين لها انه بالقبض عليه سيقوم الكثيرون من الهنود بتسجيل أسمائهم، ولم يجد موظفو الإدارة في أنفسهم من القدرة ما يمكنهم من مقاومة هذا الإغراء فالقو القبض عليه(٥٨).

كان رد الفعل الهندي على اعتقال ساندرا أول حادث من نوعه جاء في إطار مبادئ سياسة الساتياكراها، وكان مفاجئاً للحكومة البويرية، إذ احتفل الهنود احتفالاً كبيراً لا اثر فيه لحزن أو قلق. بل كان على العكس مما هو متوقع، اذ أبدى الكثير من الهنود استعدادهم للذهاب إلى السجن، مخيبين بذلك امل الإدارة الأسيوية التي كانت تهدف من خلال القبض على ساندرا ذهاب الهنود إلى مكاتب

التسجيل، فلم يتقدم إليها بعد ذلك طلب أي شخص من الهنود حتى من المقيمين في مدينة جيرمستون، الأمر الذي شكل أول نصرٍ وتحدٍ علني للجالية الهندية ضد الإدارة الأسيوية التي تديرها الحكومة البويرية في جنوب افريقيا وفق مبادئ المقاومة الجديدة للتمييز العنصري[٥٩].

أيقنت الإدارة الأسيوية بعد هذا الحادث أن حركة الساتياكراها قد ازدادت صلابة سيما وان الكثير من قادتها لازالوا طلقاء. الأمر الذي دعا السلطات الحكومية في الترانسفال إلى دعوة قادة الساتياكراها لبيان موقفهم في أوائل عام ١٩٠٧ امام قاضي التحقيق، وقد بين هؤلاء القادة أسباب رفضهم الخضوع لأمر طردهم من الترانسفال وتبرر عدم تقديمهم طلبات التسجيل التي يوجبها القانون الترانسفالي في يوم ٢٨ كانون الأول من العام نفسه[٦٠].

نظر قاضي المحكمة بقضايا قادة الحركة كل على حدة واصدر قراره بإبعادهم من الترانسفال، بعضهم خلال يومين من تاريخ الحكم والبعض الآخر خلال أسبوعين، في موعد أقصاه العاشر من كانون الثاني ١٩٠٨، لكن القادة الهنود لم ينفذوا أمر المحكمة، فطلب منهم المثول أمام القاضي في اليوم نفسه لسماع الحكم، فاتفق قادة الحركة بعدم الدفاع عن أنفسهم والاعتراف بأنهم مذنبون بعدم إطاعة الأوامر وبتهمة العصيان لحكم الإبعاد من الترانسفال ومغادرة البلاد في الموعد المقرر[٦١].

وامام القاضي، استأذن غاندي المحكمة بمنحه كلمة موجزة، أوضح فيها التفريق بين حالته وحالة المتهمين الآخرين، قائلا: "إن كان هؤلاء الرجال قد ارتكبوا جرماً، فقد ارتكبت جرماً اكبر، وإنني التمس من القاضي لذلك أن يحكم علي بأقصى العقوبة" ولكن القاضي لم يستجب لطلب غاندي واكتفى بحبسه وزملائه حبساً لمدة شهرين[٦٢].

كان لأصداء سجن قادة الحركة أثراً كبيراً على أتباعهم، فاخذ الكثير منهم يفدون إلى السجن جماعات لعدم تنفيذهم الأوامر. وكان اغلبهم من الباعة المتجولين الذين سعوا بأنفسهم إلى القبض عليهم. مع اعتزام الهنود جميعاً في جنوب افريقيا مليء السجون حتى تضيق بهم، فكان يكفي أن يمتنع احدهم من إبراز بطاقته لكي يقبض عليه، حتى وصل عدد السجناء الهنود إلى ما يزيد عن المائة في أسبوع واحد، الأمر الذي وسع من أفق حركة الساتياكراها من خلال انتماء السجناء الجدد إليها، فضلا عن معرفة ما يجري من أحداث خارج السجن، فقد وفدت الأنباء الجديدة مع توافد السجناء بأن مفاوضات تجري مع الحكومة البويرية بطلب من الحكومة نفسها يبتغى من خلالها

الوصول إلى حل مرض كان يتلخص في جوهره أن يقوم الهنود بتسجيل أنفسهم طائعين، وبعد نهاية المفاوضات أصدرت الحكومة قانوناً بذلك أطلق عليه الهنود تسمية القانون الأسود، لما جاء فيه من قيود إضافية، فضلا عن القوانين السابقة حول تقييد حرية الهنود وحركتهم في جنوب افريقيا[٦٣].

اعترض قادة وأعضاء حركة الساتياكراها على نص القانون الجديد مؤكدين رفضهم لمبدأ التسجيل وليس على مبدأ الطواعية والإكراه في التسجيل، وبناءً على الرفض الجماعي للقانون. أخذت الإدارة الأسيوية غاندي إلى مدينة بريتوريا بصفته زعيم حركة الساتياكراها لمقابلة الجنرال سمطس Jan Christian Smuts [٦٤]، وبعد مفاوضات بينهم، اتفقا على تسوية ترضي الطرفين مشروطة من غاندي بالإفراج عن جميع السجناء وإلغاء القانون الأسود مع طوعية تسجيل الهنود لأسمائهم لدى مسجل الأسيويين، فأعقب هذه التسوية الإفراج عن السجناء واخذ غاندي يتجول في جنوب افريقيا يفسر لمواطنيه فحوى هذه التسوية[٦٥].

بدأ الهنود بتسجيل أسمائهم حسب الاتفاق بين غاندي وسمطس. لكن الأخير اخذ التنصل عن وعوده لغاندي، فبدلاً من أن يلغي القانون الأسود عمل على استبقائه في قائمة التشريعات المعمول بها، مكتفياً باستصدار نص تشريعي يعترف بصحة تسجيل الطلبات التي تقدم بها أصحابها بعد الموعد القانوني الذي حدده في الأصل قانون تسجيل الأسيويين، ويعفيهم من العقوبة التي ينص عليها ذلك القانون[٦٦].

ونظراً لنكث سمطس لوعوده، اصدر قادة حركة الساتياكراها إنذاراً نهائياً وَرَدَ فيه: "إذا لم يلغ قانون تسجيل الأسيويين طبقاً للتسوية التي تم الاتفاق عليها مع الحكومة، وإذا لم يصل إلى الهنود ما يفيد عزم الحكومة على اتخاذ قرار بذلك قبل موعد معين فسوف تحرق البطاقات التي استخرجها الهنود وسيتحمل هؤلاء، في تواضع تصحبه إرادة قوية وعزيمة لا تلين، كل ما قد يترتب على ذلك من نتائج". وحدد موعد انتهاء الإنذار في السادس عشر من آب ١٩٠٨، وهو اليوم المحدد للنظر في مشروع القانون الجديد أمام الهيئة التشريعية، وقامت الحركة في الوقت عينه بالتنسيق على عقد اجتماع عام يعقد بعد انتهاء اجل الإنذار بساعتين للقيام بحرق بطاقات التسجيل علناً[٦٧].

وفي الوقت الذي كانت فيه الإجراءات الأولى للاجتماع توشك أن تبدأ، وصلت برقية من الحكومة البويرية إلى الهيئة التنفيذية لحركة الساتياكراها، تعلن من خلالها أنها لا تستطيع تغيير

مسارها في قانون التسجيل، وتليت البرقية على المجتمعين، الذين استقبلوها بإصرار كبير على المضي بتنفيذ حرق بطاقات التسجيل، وكانت اللجنة التنفيذية للحركة قد تسلمت في ذلك الوقت ما يقارب الألفي بطاقة، قامت بإحراقها بعد وصول البرقية من الحكومة البويرية، ولم يلبث أن احرق البطاقات حتى من كان متردداً عن مجاراة زملاءه من الجالية الهندية، فأثار هذا المشهد مراسلي الصحف البريطانية الحاضرين الاجتماع، الذين قاموا بدورهم بإرسال وصف دقيق إلى الصحف البريطانية بكل ما حدث[٦٨].

يتضح مما سبق، إن الإجراءات المتخذة من غاندي وزعماء حركة الساتياكراها في حرق بطاقات التسجيل أمام الرأي العام، كانت لها أهداف خارجية تمثلت بلفت نظر الرأي العام البريطاني لقضية الهنود في جنوب افريقيا، إلى جانب اثارة اهتمام الحكومة الهندية في الهند للاهتمام برعاياها وما يتعرضون له من ممارسات تمييزية وعنصرية في جنوب افريقيا، فضلاً عن الأهداف الداخلية التي تمثلت بإعلان التحدي السافر للحكومة البويرية ووضعها أمام أمر واقع في سبيل الخلاص من القيود العنصرية المفروضة على الهنود هناك.

ونظراً لما حصل من تطورات خطيرة في طبيعة العلاقة بين الحكومة والجالية الهندية في جنوب افريقيا، استطاع الجنرال سمطس أن يظفر بموافقة الهيئة التشريعية في الترانسفال على استصدار قانون جديد سمي بـ (قانون تقييد الهجرة الهندية إلى الترانسفال)، كان من شأنه أن يحول بطريق غير مباشر دون وصول الهنود إلى الترانسفال، الأمر الذي دفع بقادة حركة الساتياكراها وأتباعها إلى الدخول عمداً إلى الترانسفال وتعريض أنفسهم للسجن بما فيهم غاندي نفسه، بعد إدراكهم أن الحكومة البويرية بدأت تتخبط في اتخاذ قراراتها ضد الجالية الهندية، وإنها لا تستطيع أن تزج بالهنود جميعاً في السجون، لان مثل هذا الأمر سيكلفها نفقات كبيرة لا طاقة لها بها لإعالة الهنود وهم في السجون، لذا أخذت تبحث عن بدائل جديدة لقراراتها في التعامل مع الهنود فما وجدت من وسيلة انفع سوى إبعاد البعض منهم إلى الهند[٦٩].

بلغت أحكام السجن على الهنود ما يقارب العامين، وظلت أسرهم تعيش على الهبات الشهرية التي تصرف لهم من التجار الهنود حتى عام ١٩١٠ لكن هذه الهبات كانت غير مرضية للأسر الهندية وتسببت في استنزاف موارد التجار الاقتصادية، فلم يجد غاندي حلاً لهذه المشكلة

سوى مخرج واحد هو أن تجمع هذه الأسر جميعاً في مكان واحد ليشكلوا بذلك جماعة تعاونية مترابطة. وقد أوكلت مهمة شراء الأرض إلى هيرمن كالينباش (Hermann Kallenbach) [٧٠] احد أصدقاء غاندي المقربين، الذي قام بشراء ارض زراعية تبلغ مساحتها ألف ومائة فدان، تبعد عن مدينة جوهانسبيرغ واحداً وعشرون ميلاً، ومنحها لأعضاء حركة الساتياكراها ليستغلوها دون مقابل[٧١].

استطاع غاندي بعد خروجه من السجن في السابع من تشرين الأول ١٩٠٨ [٧٢] أن يبث في نفوس الهنود في المزرعة روح التبتل والاعتماد على النفس فقرر عدم استخدام الخدم في أداء الأعمال المنزلية، وتجنب استخدام أحداً من خارج المزرعة، إلى جانب الاعتماد على النفس في أداء الأعمال الزراعية والبناء، وكذلك العمل على أن تكون للرجال والنساء بيوتاً منفصلة، واستلزم ذلك إنشاء بنايتين منفصلتين تتألف من وحدات سكنية تبعد بينهما مسافة معقولة، تتسع في مجموعهما لإيواء عشرة من النساء وستين من الرجال، فضلاً عن بناء مدرسة للأطفال وما يتبعها من ملحقات أعمال النجارة وصناعة الأحذية والجلود وما إلى ذلك، وقرر غاندي أن تكون طرق السفر إلى جوهانسبيرغ بالسكة الحديد إن كانت الأعمال تقتضيها حاجة الجماعات الهندية في المزرعة، وان يكون السفر في تلك الحالات في الدرجة الثالثة، أما على من كان يبتغي من سفرة التنزه فعليه أن يذهب إليها سيراً على الأقدام، وان يحمل معه من الزاد ما تنتجه المزرعة دون سواه[٧٣].

كان غاندي يطمح من وراء ذلك كله جعل المزرعة خلية تنبض بالحياة وتفيض بالنشاط الزراعي والصناعي، وان توفير المال والاعتماد على النفس في سد الحاجة، يعزز القوة في الصبر والتحدي لمقاومة حكومة الترانسفال إلى أقصى حدود المقاومة، لكن أصعب ما واجه غاندي من مشكلات، التعليم الذي كان يقع على عاتق غاندي وزميلة كالينباش. وتعود الصعوبة في ذلك أن التعليم يبدأ بعد الظهيرة، في وقت أنهكت به أعمال الصباح قوى المعلم والمتعلم. فكثيراً ما كان غاندي وزميله كالينباش يقومان برش الماء في وجهيهما وأوجه التلاميذ لمواصلة التعليم والتخلص من النعاس. ولم يكن ذلك إلا جانباً واحداً من الصعوبات التي واجهت غاندي وكالينباش في مهمتهما التعليمية، فالأصعب من ذلك كان يكمن في التنوع الديني واللغوي للمتعلمين فقد كانوا من الهندوس والإسلام والمجوس والمسيح، ويتحدثون اللغة الجيوجيراتية والتاميلية والتيولوجية، التي لا معرفة لغاندي بها إلا القليل، لكن غاية غاندي من مواصلة تعليمة على كل صعوباته هو التخلص من

عدوى التعصب العنصري، وتعليم الأطفال على النظر بروح خيرة إلى ديانات بعضهم البعض، وإلى عادات بعضهم البعض، وان يعيشوا أخوة متحابين، وان يكتسبوا فوق ذلك كله دروساً في الخدمة المتبادلة وفي الآداب العامة وفي الأعمال اليدوية(٧٤).

نظراً لما مر به الهنود من ظروف عنصرية في جنوب افريقيا قامت الحكومة الهندية بإيفاد مندوبها جوكهال (Gokhale) في تشرين الأول ١٩١٢ ليقوم بعملية الوساطة مابين الجالية الهندية والحكومة البويرية وحل الأزمة سلمياً. وأسفر التفاوض بينه وبين سمطس عن منح الأخير وعوداً بإلغاء القانون الأسود خلال عام واحد، وكذلك رفع ضريبة الجنيهات الثلاثة عن كاهل الهنود في جنوب افريقيا. وبعد عودة جوكهال إلى الهند قام سمطس بنكث الوعود كافة التي قطعها معه، الأمر الذي دفع بغاندي بعد العدة لحملته القادمة ضد سياسة التمييز العنصري التي تمارسها الحكومة البويرية ضد الجالية الهندية في جنوب افريقيا، وكانت أولى الخطوات هي استبدال المزرعة التي تعد مقراً رئيسياً للهنود بمزرعة أخرى تتلاءم وطموحات غاندي في مباشرة عملياته وما كان يعتزم القيام به لمقاومة قرارات الحكومة البويرية(٧٥).

في الوقت الذي كانت فيه الاستعدادات للحملة القادمة جارية، أصدرت الحكومة البويرية قراراً في السادس من آذار ١٩١٣ يلغي جميع الزيجات التي لم تعقد وفق الطقوس المسيحية البروتستانتية، والتي لم تسجل لدى مسجل عقود الزواج في المحاكم المدنية البويرية. وبذلك عدت الحكومة إن الزواج الحاصل بين جميع الأقليات الأخرى وفقاً لتعاليم أديانهم وعلى اختلافها باطلاً وغير شرعي. واستحالت الزوجات وفق ذلك القرار إلى وضع المحظيات، وحرمن وأطفالهن من حق الملكية والميراث(٧٦).

كان رد فعل غاندي على قرار السادس من آذار إعلان حملة جديدة للساتياكراها، اذ دعا إلى إشراك النساء في النضال إلى جانب الرجال، موضحاً في الوقت نفسه ما قد يتعرضن له من مخاطر، وبما سيتحملنه جراء ذلك من حرمان في المأكل والملبس وفي حرياتهن الشخصية، ونبه غاندي النساء من إنهن قد يتعرضن إلى السجن والأشغال الشاقة، فضلاً عن تعرضهن للإهانات التي ستلحق بهن على يد السجانات، لكن تلك التحذيرات لم تثنيهن عن المشاركة في الكفاح ضد التمييز الأوربي ضد الهنود(٧٧).

أولى الخطوات التي رسمها غاندي للنساء هي دخول جمهورية الترانسفال البويرية ومدينة فيرننك بالتحديد حيث يقطن الكثير من الهنود هناك، وعمل النساء بائعات متجولات ليتسنى لهن التنقل بحرية، يتبعها إرسال ست عشرة من الرائدات في حركة الساتياكراها لاختراق الحدود من وإلى الناتال والترانسفال بغية القبض عليهن لإثارة الهنود في المناطق التي يقطنوها كافة، اذ ان كلا الأمرين كان مخالفة يعاقب عليها القانون. وفي حالة عدم القبض عليهن يتوجه قسم منهن إلى مدينة نيوكاسل، وهي من أهم مراكز التعدين في الناتال، حتى إذا بلغن نيوكاسل عملن على حمل العمال الهنود الذين يعملون فيها في ظل قانون العمل التعاقدي على الإضراب عن العمل، الأمر الذي يكون كفيلاً بأن تلقى الحكومة القبض عليهن وعلى العمال على السواء[٧٨].

وبناءً على ما رسمه غاندي من خطوات لتحرك النساء عبر الحدود، بدأ تحركهن عبر حدود الترانسفال دون أن يكون معهن رخصة بذلك، فألقي القبض عليهن بما فيهن زوجة غاندي، وحكم عليهن السجن ثلاثة أشهر مع الأشغال الشاقة. أما من دخلن الترانسفال ولم يقبض عليهن فقد توجهن إلى الناتال المجاورة، واستطعن التسلل إلى مدينة نيوكاسل الصناعية وقمن بتنفيذ أعمالهن وفق الخطة المرسومة، فحثن العمال الهنود هناك على الإضراب عن العمل، الذين بدورهم اضربوا عن العمل جماعية. الأمر الذي جعل الحكومة تلقي القبض على النساء الهنديات والزج بهن في السجن لثلاثة أشهر[٧٩] .

كان لحبس النساء أثراً كبيراً في نفوس العمال الهنود الذين يعملون في مناجم التعدين القريبة من نيوكاسل، فأعلنوا الإضراب عن العمل منضمين إلى العمال الهنود المضربين في نيوكاسل، فتوجه غاندي إلى المدينة لتلافي حدوث اضطرابات تتنافى ومبادئ الساتياكراها هناك، وعلى الرغم من اعتماد العمال في نيوكاسل والمناطق القريبة منها على أصحاب المناجم في توفير المساكن وهم الذين يزودونهم بالنور والمياه، الأمر الذي جعل هؤلاء العمال في وضع من التبعية جعل حياتهم معتمدة كل الاعتماد على إرادة أصحاب العمل. فاستغل ذلك أصحاب العمل فقطعوا النور والماء وطردوا العمال من المساكن، فتوجه العمال بتقديم الشكاوى إلى غاندي بصفته قائداً لكفاح الهنود في جنوب افريقيا، الذي بدوره أشار عليهم أن يتوحدوا جميعاً ويهجروا بيوت أصحاب العمل والخروج منها جماعية[٨٠].

لقد كانت أعداد العمال كبيرة وصلت إلى ما يقارب الخمسة آلاف عامل، الأمر الذي شكل عبئاً كبيراً على غاندي في توفير المساكن والغذاء لهؤلاء العمال. لكن غاندي ابتكر فكرة الزحف بهذه الجموع الغفيرة إلى الترانسفال، حتى إذا وصلوا إلى هناك ستقوم الحكومة بسجنهم وذلك سيخلق لها مشكلة صعبة. كانت أولى المصاعب التي واجهت غاندي في عملية إعلان الزحف هي قلة النفقات لدفع أجور الانتقال عبر السكك الحديد، وان تم الانتقال على شكل جماعات فإن ذلك سيضعف من قوتهم ويعمل على تفرقتهم، لذا قرر غاندي أن ينتقل ضعفاء البنية منهم في القطارات، والزحف بالآخرين سيراً على الأقدام(٨١).

كان اغلب العمال يصطحبون معهم نسائهم وأطفالهم، لذا تردد الكثير منهم في اتخاذ موقفه من الزحف مع الآخرين، فعمل غاندي على تحفيزهم من خلال خطبة ألقاها في حشود العمال موضحاً من خلالها إن من أراد منهم العودة إلى عمله في المناجم فما عليه إلا أن يشد رحاله إليها مرة أخرى. فاستقر الرأي الأخير على الموافقة الجماعية لإعلان الزحف(٨٢).

تلى غاندي التعليمات والإرشادات التي يجب على الجميع الالتزام بها، مستفيداً من تجاربه في حرب البوير وثورة الزولو، معلناً أن الزحف يبدأ في الثامن والعشرين من تشرين الأول ١٩١٣، وعلى كل فرد أن يحمل معه من الملبس ما يحتاجه فقط، وعليه ألا يتجاوز على ما يخص غيره في الطريق، مع ضرورة الصبر والتحمل إذا تعرضوا لأذى من الأوربيين سواء إن كانوا موظفين رسميين أو غير موظفين، مع عدم مقاومة رجال الشرطة إذا ارادو القبض عليهم، وفي حالة القبض على غاندي عليهم مواصلة السير وعدم التفرق او التوقف، وأعلن غاندي أسماء من يخلفونه على التوالي في حالة القبض عليه وهم كل من كالينباش وثامبا نايدو (Thambi Naidoo)والبرت كرستوفر (Albert Christopher) (٨٣).

وصلت الجموع الزاحفة إلى مدينة تشارلستون في تشرين الثاني ١٩١٣، وقام التجار الهنود المقيمون هناك بتقديم المساعدات للعمال والآسر الزاحفة، ووضعوا بيوتهم تحت تصرفهم، وإعطائهم الأراضي للسكن، ولم يتردد غاندي ومن معه من أعضاء حركة الساتياكراها عن أداء أعمال الكنس والمسح وشاكلتها، الأمر الذي دفع الجميع إلى العمل المماثل والاقتداء بغاندي والأعضاء الآخرين، وقد قال غاندي معلقا: "لو إننا اكتفينا بالأوامر والتعليمات نصدرها إلى غيرنا

لاتخذ كل منهم من نفسه زعيماً ثم شرع يملي على غيره ما يفعله، وتكون النتيجة ألالاشيء يفعل على الإطلاق. أما حيث يصبح الزعيم نفسه خادماً فلن تكون ثمة منافسة على الزعامة"[٨٤] .

كتب غاندي إلى حكومة سمطس عند وصوله إلى تشارلستون قائلاً لها: "إننا لا نزمع دخول الترانسفال بقصد الاستيطان فيها، وإنما ندخلها وسيلة فعالة للاحتجاج على حنث الوزير بعهده، وإظهاراً لألمنا وحزننا على ما أصابنا من إهدار لكرامتنا، وان الحكومة تستطيع أن تريحنا من حيرتنا وقلقنا لو أنها تفضلت فألقت القبض علينا حيث نحن". وأكد غاندي للحكومة البويرية ان إضراب العمال عن العمل سينتهي، وأنهم سيعودون إلى عملهم على الفور إذا هي ألغت ضريبة الجنيهات الثلاثة[٨٥].

لم يتغير الموقف الحكومي بعد رسالة غاندي التي لم يرد عليها بالرفض إلا بعد مدة طويلة، لذا قرر غاندي السير بركب الزاحفين الهنود ومغادرة تشارلستون ودخول الترانسفال فوراً، وان تم القبض عليهم فقد تحققت أهدافهم، وان لم يقبض عليهم فسيواصلون السير من عشرين إلى أربعة وعشرين ميلاً في اليوم ولمدة ثمانية أيام متتالية وصولاً إلى مقر حركة الساتياكراها في المزرعة السابقة والبقاء فيها إلى نهاية الكفاح[٨٦].

وفي محاولة منه للضغط على الحكومة، قرر غاندي في الحادي عشر من تشرين الثاني ١٩١٣، ألاتصال بالحكومة هاتفياً حتى لو قوبلت محاولته بالصد، فجاء رد الحكومة منطوياً على إهانة لغاندي على لسان المتحدث باسمها بالرد أن الجنرال سمطس لا شأن له بغاندي وله أن يفعل ما يريد. الأمر الذي دفع غاندي إلى تنفيذ ما اعتزم، بالزحف إلى مقر الساتياكراها السابق القريب من الترانسفال، وفي ليل اليوم الأول للزحف تم إلقاء القبض على غاندي الذي اخبر صديقه ثامبا نايدو أن لا يوقظ الزاحفين الهنود، وان يستأنفوا السير تحت قيادته، حتى إذا أوصلهم إلى مكان الاستقرار ابلغهم بنبأ القبض على غاندي، وأوصاه إذا قبض على الهنود الزاحفين فعليهم ان لا يبدو أية مقاومة، وعليهم أن يستسلموا، وان لم يتم ذلك فعليهم مواصلة الزحف إلى مقر الساتياكراها[٨٧].

مثل غاندي بعد إلقاء القبض عليه أمام محكمة فولكسراست في الثالث عشر من تشرين الثاني ١٩١٣، وطلب المدعي العام من قاضي المحكمة حبسه على ذمة التحقيق أربعة عشر يوماً. لكن غاندي طلب الإفراج عنه بما يخوله القانون من حق كل مسجون غير متهم في جريمة من

الجرائم في الخروج بكفالة، فاخلي سبيله بكفالة قدرها خمسون جنيهاً دفعها زميله كالينباش الذي اعد له عربة نقل تقله للالتحاق بركب الهنود الزاحفين[٨٨].

واصل غاندي وجماعته الزحف لليوم الثامن على التوالي، لكن الحكومة البويرية أخذت تراقب تحركاته عن كثب، فألقت القبض عليه مجدداً عند وصوله إلى مدينة ستاندرتون، بينما كان مشغولاً في توزيع الغذاء على حشود الزاحفين والذي جاء هدية من التجار في تلك المدينة، لكن هذه المرة ألقى القبض عليه قاضي المحكمة نفسه والذي انتظره حتى أن أكمل غاندي توزيع الغذاء وقال له مبتسماً: "أنت سجيني" فأجابه غاندي "يبدو أن مرتبتي قد ارتقت إلى حد أن يأتي القاضي بنفسه للقبض علي، بدلاً من أن يترك ذلك لرجال الشرطة"[٨٩]، وفي ذلك دلالة على إدراك البريطانيين لدور غاندي في قدرته الهائلة على التأثير على الهنود لتحدي البريطانيين وسياساتهم التمييزية.

مثل غاندي مرة أخرى أمام قاضي محكمة ستاندرتون، وطلب تأجيل المحكمة مع الكفالة للأسباب السابقة نفسها، فأفرج عنة بكفالة قدرها خمسون جنيهاً للمرة الثانية، وأجلت القضية إلى الحادي والعشرين من تشرين الثاني ١٩١٣، فألتحق غاندي بركب الزاحفين بعد أن تقدموا في سيرهم مسافة لا تزيد عن الثلاثة أميال وعلى مقربة أربعة أيام من السير إلى جوهانسبيرغ، فأدرك غاندي حينها إن الزحف سيحقق أهدافه، فقام بتغيير إستراتيجية الزحف وذلك بتقسيم جموع الزاحفين إلى ثمانية أقسام، وذلك لتغيير الهدف الرئيس للزحف من دفع الأوربيين لإلقاء القبض عليهم إلى الوصول بهم إلى مقر الساتياكراها، وكان الهدف من تقسيمهم تعقيد آلية قبض الحكومة عليهم بعد أن اقتربوا من الوصول إلى المقر. وفي الوقت الذي كانت فيه الروح المعنوية تزداد لدى حشود الزاحفين كان قلق الحكومة يزداد يوماً بعد آخر، حتى ان خياراتها بدأت تتقلص، فإن ألقت القبض على الزاحفين قبل وصولهم إلى غايتهم لاتهمت بالضعف، وبدت مفتقرة إلى كل معاني الكياسة السياسية. وان اعتزمت ذلك فإن عليها تنفيذ القبض خلال الأربعة أيام القادمة قبل الوصول إلى مقر الساتياكراها، وان تركتهم يكملون مسيرتهم سيعد ذلك نصرا للهنود وسيحفزهم على الاستمرار في التحدي لسلطتهم[٩٠].

في غضون ذلك، أعد غاندي وفداً إلى حكومة الهند ممثلاً بزميل له يدعى هنري بولاك (Henry Polak) ذلك في اليوم التاسع للزحف عند وصول حشود الزاحفين إلى مدينة تيكورت،

وبينما كانت التوصيات والمشاورات جارية بين غاندي وبولاك لكيفية عرض المواقف على الحكومة الهندية في الهند، جاء إليهم مدير إدارة الهجرة في الترانسفال وضابط من ضباط الشرطة ليلقيا القبض على غاندي الذي تعرض للقبض ثلاث مرات في أربعة أيام. فأستثنى غاندي أمر إرسال الوفد إلى الهند وأمر بولاك بأن يتولى مهمة القيادة من بعده. واقتيد غاندي إلى مدينة جريلنجستاد ومنها إلى هيدلبيرغ حيث قضى ليلته، أما بولاك فقد وصل بحشود الزاحفين إلى مدينة جريلنجستاد، وفي اليوم التالي وصل بهم إلى مدينة بالفور، حيث تنتظرهم ثلاث قطارات كان قد أجرها التجار هناك لنقلهم إلى الناتال[٩١].

للمرة الثالثة على التوالي مثل غاندي أمام قاضي المحكمة لكن هذه المرة في مدينة داندي وهي الجهة التي صدر منها أمر القبض، ووجهت الاتهامات له بتحريض العمال المقيدين بعقود العمل على الإضراب والهجرة إلى الناتال، وحكم عليه في الحادي عشر من كانون الأول ١٩١٣ بالسجن مع الأشغال لمدة تسعة أشهر، ولم تكتف الحكومة بذلك بهذه التهمة بل وجهت إليه تهمة أخرى أمام قاضي محكمة فولكسراست، اتهمته فيه تحريض بعض الأشخاص على دخول الترانسفال ممن ليس لهم الحق في دخولها، ومساعدتهم في سبيل ذلك. وقد جيء بغاندي في الثالث عشر من كانون الأول من العام نفسه إلى محكمة فولكسراست ومن قبيل المصادفة كان غاندي قد التقى بكل من بولاك وكالينباش، وكان قد قبض عليهما وقد سجنوا معاً حتى عادت الحكومة ففرقت بينهم ووضعتهم في سجون انفرادية[٩٢] .

على الرغم من اعتقال قادة الساتياكراها إلا أن حشود الزاحفين واصلت السير إلى الناتال، وقد قررت الحكومة البويرية إلقاء القبض على جميع الزاحفين إلى الناتال، واحتجزتهم على شكل مجاميع في مناجم التعدين، أحاطت الحكومة المناجم بالأسلاك الشائكة وعدتها حظائر بشرية تابعة إلى سجني داندي ونيوكاسل، ثم أقامت من موظفي المناجم البويريين حراساً عليهم، وطلبت إليهم العمل في نطاق هذه السجون المستحدثة، وبهذا الأمر أصبح العمال الهنود مرغمين عبيداً للحكومة البويرية، وعندما يأبى العمال تنفيذ مطالب الحكومة، تعمل الحكومة على إجبارهم باستخدام القوة والعنف[٩٣].

ونتيجة لتلك الممارسات العنصرية التي مارستها الحكومة البويرية ضد الهنود في جنوب افريقيا، أرسل غاندي عدة برقيات بهذا الخصوص إلى حكومة الهند، توضح ألأعمال الوحشية

والجرائم المرتكبة ضد الهنود هناك، الأمر الذي حرض الجماهير الهندية هناك، فعمت الاحتجاجات الهند كافة منددة بما يجري في جنوب افريقيا من تفرقة عنصرية سيما ضد الجالية الهندية فيها. ولقد حفز ذلك اللورد هاردنك نائب الملك البريطاني في الهند، على أن يلقي خطابه المشهور في مدينة مدراس في الثالث عشر من كانون الأول وهو يوم محاكمة غاندي، وكان وقع الخطاب شديداً في جنوب افريقيا وبريطانيا على حد سواء، إذ لم يقف هاردنك عند توجيه اللوم إلى حكومة جنوب افريقيا، بل دافع كذلك عن القائمين بحركة الساتياكراها، الأمر الذي كان له أفضل الأثر في نفوس الجماهير الهندية. ومن جانبها، رفضت الحكومة البويرية الخطاب، وعدته تدخلا غير مسوغ في شؤونها، بذريعة إن نائب الملك لا يحق له انتقاد الحكومات الأخرى الأعضاء في الإمبراطورية البريطانية[٩٤].

وضعت تلك التطورات الحكومة البويرية في موقفٍ حرج، فصار من الصعب عليها الإبقاء على آلاف الأبرياء الهنود في السجون، وفي الوقت نفسه لم يستطع نائب الملك في الهند السكوت على ما جرى، فأخذ الرأي العام العالمي يترقب باهتمام ما سيفعله الجنرال سمطس حيال ذلك. فأتخذ سمطس إجراءً سريعاً لامتصاص زخم الرأي العام الدولي بتشكيل لجنة تحقيق صورية، وقد جرى العرف السائد أن تقبل الحكومات ما تسفر عنه أعمال مثل هذه اللجان من توصيات، فعين سمطس اللجنة التي تكونت من ثلاثة أعضاء وكانت أولى إجراءاتها طلب الإفراج عن غاندي وزميليه كالينباش وبولاك حتى يمكن إجراء التحقيق. وتقبلت الحكومة البويرية هذه التوصية وأفرجت عن الزعماء الثلاثة في الثامن عشر من كانون الأول ١٩١٣ بعد ستة أسابيع من سجن الزميلين كالينباش وبولاك ومجيء غاندي إلى السجن[٩٥].

بعد خروج غاندي وزميليه من السجن، شعر غاندي أن من حق الهنود أن يكون لهم مندوباً على الأقل يمثلهم في لجنة التحقيق، فكتب بذلك إلى الجنرال سمطس، الذي رفض بدوره أن يزيد عدد أعضاء اللجنة عضواً واحداً. ونتيجة لذلك الرفض من الحكومة البويرية قرر غاندي وزميليه العودة إلى السجن ثانية، وأعلن فريق آخر من الهنود اعتزام الزحف إلى مدينة دوربان في الأول من كانون الثاني ١٩١٤ ، لكن تزامن هذا الموعد مع موعد الإضراب العام لعمال السكك الحديد والذين كان اغلبهم من البريطانيين حال دون صدور إعلان الزحف. فلما طلب الهنود من غاندي انتهاز هذه الفرصة رفض الطلب وأعلن أن الهنود لا يمكنهم أن يساعدوا عمال السكك الحديد المضربين بهذا

الأسلوب، مبينا ان الهنود لا يهدفون إلى إحراج الحكومة، وكفاحهم يختلف عن كفاح الآخرين وانه يرتكز على أسس غير الأسس التي ترتكز عليها الحركات الأخرى، وقرر غاندي أن يكون بداية الزحف بعد نهاية مشكلة عمال السكك الحديد البريطانيين[٩٦] .

كان لقرار غاندي هذا ابلغ الأثر في نفوس الجميع ووصلت أصداءه إلى بريطانيا، فضلاً عن أثره في الحكومة البويرية نفسها، إلى حد دفع احد مستشاري الجنرال سمطس إلى القول مخاطباً غاندي: "إنني لا أحب قومك ولا يعنيني أن أساعدهم في شيء، ولكن ما حيلتي؟ إنكم تتقدمون لمعاونتنا في وقت شدتنا، فكيف نسمح لأيدينا بأن تمتد إليكم بسوء؟ إني طالما وددت لو إنكم لجأتم إلى العنف كما فعل العمال الانكليز المضربون، لعرفنا كيف نتصرف معكم. إن أيديكم لا تمتد بالأذى لأحد، حتى لأعدائكم، إنكم تسعون إلى النصر عن طريق تحملكم الآلام، ولم تخرجوا يوماً عن حدود اللياقة والمروءة، وهذا ما يجعلنا ضعافاً أمامكم"[٩٧] .

ترك مثل هذا الموقف وغيره من المواقف المماثلة على مدار كفاح حركة الساتياكراها آثاره العميقة في كل مكان، ورفع من مكانة الهنود وقدرهم في أعين الجميع، وخلق جواً مناسباً للوصول إلى تسوية مع الحكومة البويرية التي قدرت بدورها الموقف الهندي في جنوب افريقيا. فبدأ غاندي يكاتب الجنرال سمطس عن عمل لجنة التحقيق، التي أوصت في تقريرها الاستجابة إلى طلبات الجالية الهندية. وقد نشرت الحكومة على اثر ذلك في الجريدة الرسمية قانون (إغاثة الهنود)[٩٨]، ألغت بمقتضاه ضريبة الجنيهات الثلاث، واعترفت بشرعية جميع الزيجات التي تعد شرعية في الهند، وجعلت مجرد الحصول على جواز للإقامة يحمل بصمات إبهام صاحبه كافياً لإثبات حق حامله في الإقامة في اتحاد جنوب افريقيا[٩٩].

وهكذا أنهى غاندي حركة الساتياكراها في الثلاثين من حزيران ١٩١٤ [١٠٠]، بعد موافقة الحكومة البويرية على جميع مطالب الهنود في جنوب افريقيا بعد ثمانية أعوام من الكفاح السلمي، وبعد إن عم السلام حياة الهنود هناك قرر غاندي العودة إلى الهند عن طريق بريطانيا في يوم الثامن عشر من تموز ١٩١٤، التي وصلها في التاسع من كانون الثاني ١٩١٥ بعد تجربة غنية في الكفاح استمرت لإحدى وعشرون عاماً في جنوب افريقيا، أصبحت قاعدة لنضاله في الهند ضد الاستعمار البريطاني[١٠١].

الخاتمـــة

خاض غاندي في جنوب افريقيا تجربة غنية، أسهمت في تطوره الفكري والسياسي، وأهلته لان يخوض نضالا اشد وأصعب في الهند تجاه الاستعمار البريطاني، فكانت تجربة أولى له في قيادة الجماهير والتأثير فيها، فاكتشف قدرته على توحيد الجماهير الهندية المختلفة الأعراق والأديان والمذاهب واللغات واللهجات تجاه هدف مشترك، واكتشف في الوقت نفسه، أسلوبا مبتكرا وخلاقا في مقاومة الغطرسة الاستعمارية، قد يكون متداولا في الأذهان في الوقت الراهن، لكنه كان ابتكارا عظيما في الزمان والمكان آنذاك. ولم يكن لغاندي ان يمتلك تلك القدرة الهائلة في التحكم بنفسه وإقناع الجماهير لولا إيمانه العميق بوجود الجانب الخير في كل إنسان والمساواة بين البشر، فضلا عن إيمانه بمشروعية أهدافه.

وهكذا فان غاندي تمكن من تحقيق جملة مكاسب للهنود من أهمها انه زرع الثقة في نفوسهم وأشعرهم بقدرتهم على مواجهة الظلم، وذلك ما مكنهم من الوقوف بوجه التشريعات الحكومية التي كان الهدف منها حرمانهم من حقوقهم الطبيعية.

ولايمكن أن يغفل دور تجربة غاندي في جنوب افريقيا على الأفارقة أنفسهم الذين كانوا يتعرضون لسياسة التمييز العنصري ، كانت لسياسة غاندي(الساتياكراها) القوة في التأثير على الأحزاب الأخرى وتبنيها لمبادئها سيما حزب (المؤتمر الوطني الإفريقي) في نضاله ضد سياسة التمييز العنصري. وعمل بها لسنوات طوال بغية الوصول لأهدافه المرجوة، ولكنه فشل في تحقيق طموحاته الوطنية بالطرق السلمية عامة، إلا انه كان ناجحاً في إطار تلك السياسة بتنظيم الإضرابات السلمية المتواصلة لردع حكومة الأقلية البيضاء عن سن قوانين التمييز العنصري، حتى عام ١٩٦١ عندما انتقل الحزب إلى الكفاح المسلح. لقد امضى غاندي احدى وعشرون عاما في جنوب افريقيا أسهمت في نضج أطروحاته السياسية وطورت مهارات قيادة الجماهير، الأمر الذي مكنه من استثمار تجربته النضالية الغنية في جنوب افريقيا بنقلها إلى الهند، فتمكن من قيادة الهنود عبر المقاومة السلمية واللاعنف الى نيل استقلالهم عام ١٩٤٧. وبذلك يمكن عد تجربة غاندي في جنوب افريقيا التجذير لحركة النضال الهندي التي تفرد بها الهنود عن تجارب حركات التحرر الشعوب الأخرى.

وخلاصة القول ان سياسة غاندي (الساتياكراها) كانت الرائدة في تبني السبل السلمية في مقاومة المحتل في العالم، وكان انتصارها انتصاراً للمثل النبيلة ضد الطغيان واغتصاب حقوق الإنسان.

هوامش البحث

١- سياسة التمييز العنصري: هي الافعال والممارسات والمعتقدات التي تقلل من شأن شخص ما كونه ينتمي لعرق أو لدين أو وفق الحاجز اللوني. ويستخدم مصطلح (التمييز العنصري) لنعت الذين يتبنون نوع من التعامل مع سائر البشر من خلال التمييز عبر العرق واللون، وان المعاملة الحسنة يجب أن تقتصر على فئة معينة دون سواها. وان هذه الفئة يكون لها الحق في أن تتحكم بحياة ومصير الأعراق الأخرى. وكانت أولى الأعمال العنصرية والأكثر انتشارا هي تجارة الرقيق التي كانت تمارس عادة ضد الأفارقة السود. ومن ابرز الأمثلة المعاصرة للعنصرية سياسة الفصل العنصري (فوانيين الابارتهيد في جنوب افريقيا). للمزيد من التفاصيل حول سياسة التمييز العنصري في اتحاد جنوب افريقيا، ينظر:

عقيل جعيز شمخي السهلاني، سياسة التمييز العنصري في اتحاد جنوب افريقيا ١٩١٠-١٩٦١، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠١٠.

٢- شركة الهند الشرقية الهولندية: تأسست وفق مرسوم صدر من الحكومة الهولندية في ٢٠ آذار ١٦٠٢ ، منحت من خلاله الحكومة الهولندية الشركة حق احتكار التجارة، والدفاع عن الهولنديين في البحار الأسيوية، وعقد الاتفاقيات والمعاهدات مع حكام الشرق باسم الحكومة الهولندية، وبناء القلاع والحصون، وتعيين الحكام والقضاة في الأماكن التابعة للشركة في أسيا سيما في الهند والصين واليابان والملايو والفلبين. للتوسع ينظر:

George Theal , History of South Africa Under the Administration of the Dutch East India Company, 1652- 1795, (University of Michigan , 1897).

٣- رأس الرجاء الصالح: رأس من اليابسة في القارة الأفريقية يقع في كيب تاون في جنوب افريقيا ويشبه في شكله الرأس المحدب، يمثل نقطة التقاء المحيطين الهندي والأطلسي. كان يسمى برأس الأعاصير والزوابع، استبدل بهذا الاسم بعد ان ثبتت صلاحيته طريقاً تجارياً للملاحة الأوربية، كانت تمر منه السفن التجارية المتوجهة من وإلى آسيا. للتوسع ينظر:

William Henry Parr Greswell, Geography of Africa South of The Zambezi, Clarendon Press, (Michigan, 1892), Pp. 100-120; Ropin Hallett, Africa to 1875, Edition 2, University of Michigan Press, (London,1974), Pp. 235-236.

٤- جان فان ريبك: (1677 – 1619)، القائد الهولندي لأول مستوطنة في رأس الرجاء الصالح في افريقيا الجنوبية. وُلد جان فان ريبيك في كلمبورج في هولندا. التحق بشركة الهند الشرقية الهولندية عندما كان عمره عشرين عامًا، وأرسل إلى إندونيسيا في سنة ١٦٤٠م. عمل أيضًا في اليابان والهند الصينية. وقد رُحِّل إلى هولندا بعد اتهامه بالمتاجرة لحسابه. في رحلة العودة، رسا الأسطول الهولندي في خليج تيبل، رأس الرجاء الصالح. وقضى فان ريبيك ثمانية عشر يومًا على الشاطئ، أصبح بعدها مقتنعًا أن رأس الرجاء الصالح يمكن أن يموّن السفن العابرة والمحمَّلة بالمنتجات الطازجة. بعد رجوعه إلى هولندا، منحته شركة الهند الشرقية فرصة أخرى، وأرسل إلى الكاب ليضع أفكاره قيد التطبيق. كانت تعليماته أن يزرع بستان خضراوات، ويبني قلعة حماية، ويشتري الأبقار من السكان المحليين. وصل فان ريبيك إلى الكاب في عام ١٦٥٢م، وعمل بجهد خلال السنوات العشر التالية متغلبًا على العديد من الصعاب. في عام ١٦٦٢م، نقل فان ريبيك إلى بتافيا (حاليًا جاكرتا) عاصمة إندونيسيا، وفي عام ١٦٦٥م قبل وظيفة سكرتير مجلس الأنديز.
الموسوعة العربية العربية العالمية، شركة أعمال الموسوعة للإنتاج الثقافي، النسخة الالكترونية، www.mawsoah.net

٥- دونالد ويدنر، تاريخ افريقيا جنوب الصحراء، ترجمة راشد البراوي، مجموعة الكتب المترجمة، (بيروت، ١٩٦٢)، ص١٦٠؛ رولاند اوليفر، جون فيج، موجز تاريخ افريقيا، ترجمة دولت احمد صادق، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (القاهرة، ١٩٦٥)، ص١٧٥ -١٧٦.

٦- الافريكانز البوير: الفلاحون الهولنديون الذين جاءوا إلى مدينة كيب تاون مع جان فان ريبك عام ١٦٥٢ الذين اتخذوا من لغة (الافريكانز) لغة خاصة بهم لتأكيد القومية البويرية في جنوب افريقيا، للتوسع ينظر :

Augustus Henry, The Boer States Land and People, London Press, (California,1900).

٧- أدى انتشار حركات الإصلاح الديني في أوربا في القرن السادس عشر إلى ظهور الحركة البروتستانتية التي اختلفت مبادئها بين الدول التي تتبع الإصلاحات (اللوثرية، الكالفينية، الأنجليكانية)، وأدت إلى اندلاع الحروب الدينية، متمثلة بالانقسام البروتستانتي كمذهب إصلاحي جديد له فروع عدة في أنحاء أوروبا، لمواجهة المذهب الكاثوليكي التقليدي السائد عموما في روما بإيطاليا حيث مقرّ البابوية، وبما ان أتباع المذهب البروتستانتي يمثلون القلة أخذو بالهرب من دول أوربا الى دول أخرى ومنها جنوب افريقيا تحت الضغط الكاثوليكي. للتوسع ينظر:

8- Ropin Hallett, Op. Cit., p. 239.

٩- التنظيمات الرسمية: لائحة من القوانين التي استحدثتها بريطانيا عند احتلالها مدينة الكيب الجنوب افريقية ذلك للضغط على المستوطنين البوير والحد من توسعاتهم هناك، وكذلك لتنظيم الحياة العامة للسكان الأصليين، رغبة منها في فرض سيطرتها على البلاد وتهميش الدور البويري في جنوب افريقيا. للمزيد من التفاصيل حول التنظيمات الرسمية والإجراءات البريطانية المتخذة تجاه البوير، ينظر: دونالد ويدنر، المصدر السابق، ص١٦٢.

١٠- نفس المصدر والصفحة.

١١-الهيكونوت: هم الفرنسيون البروتستانت الذين جاءوا إلى مدينة الكيب هربا من الاضطهاد الكاثوليكي بعد أن ألغى لويس الرابع عشر ملك فرنسا قانون نانت الذي ظل يحميهم طيلة سبع وثمانون عاما، إذ صدر هذا القانون في ١٣ نيسان ١٥٩٨ من الملك هنري الرابع ملك فرنسا، لمنح البروتستانت (الهيكونوت) كافة الحريات والحقوق التي استلبت منهم ضمن الصراع المذهبي الكاثوليكي،حتى تم إلغائه بسبب الدعوات العلمانية والمطالبة بنفس الحقوق المتاحة للهيكونوت في فرنسا عام ١٦٨٥. للتوسع ينظر:

Colin Graham Botha, The French Refugees at The Cape, Cape Town Press, (California, 1921) ؛ The Columbia Encyclopedia, Sixth Edition, Columbia University Press, (New York. , 2004), p. 17846.

12 - Alexander Wilmot, The Story of The Expansion of Southern Africa, London Press, (California, 1894), p.7.

١٣- للتوسع في هجرة الهيكونوت إلى جنوب افريقيا ينظر:

Hendrik Carel Vos, Rambles Through the Archives of The Colony of The Cape of Good Hope, 1688-1700, Cape Town Press, (California, 1887), Pp. 18-28.

١٤- نقلاً عن: دونالد ويدنر، المصدر السابق، ص١٦٩.

١٥- احتلت بريطانيا مدينة الكيب في جنوب افريقيا عام ١٧٩٥ ذلك للسيطرة على طرق الملاحة الأوربية من والى أوربا واسيا، بعد هزيمة هولندا أمام بريطانيا، وضربة استباقية لفرنسا، حتى تنازل بريطانيا عنها في صلح اميان الى هولندا عام ١٨٠٢. للتوسع ينظر:

E.S.C.D., Treaty of Amiens, March 27, 1802, Doc. No. 9, P.12; Johan Carel Coigt, Fifty Years of The History of The Republic in South Africa 1795-1845,Vol. 1, Biblo Bazaar LLC Press, (London, 2008), P.19.

١٦- خميس دهام حميد، النظام السياسي ومشكلات الوحدة الوطنية في دولة جنوب افريقيا، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٢، ص٦.

17-Vanden Berghe Pierrel, South Africa A Study in Conflict, University of California Press,(Oxford, 1967), p. 289.

١٨- صلح اميان: وقع في مدينة أميان الفرنسية في ٢٧ آذار ١٨٠٢ انتهت بموجبة الحرب بين بريطانيا وفرنسا، اعترفت بريطانيا من خلاله بالجمهورية الفرنسية مقابل حصولها على كثير من المستعمرات التي كانت تحت السيطرة الفرنسية بما فيها ممتلكات حكومة باتافيا التي كان من ضمنها منطقة رأس الرجاء الصالح(كيب تاون) في جنوب افريقيا، إلا إن هذا الصلح لم يدم إلا عاماً واحداً إذ استأنف نابليون حروبه في العام التالي حتى توقيع اتفاقية لندن عام ١٨١٤ ومن ثم عقد مؤتمر فينا عام ١٨١٥ الذي أنهى سلسلة الحروب النابليونية تماماً في أوربا. للتوسع ينظر:

E.S.C.D., Treaty of Amiens, March 27, 1802, Doc. No. 9, P.12.

١٩- باتافيا: الاسم القديم لهولندا وسميت به نسبة إلى شعب (باتان) الذي كان يعيش فيها، وعندما احتل الهولنديون جزيرة جاوة الاندونيسية انشئوا فيها مدينة باسم (باتافيا) عرفت بعد الاستقلال الاندونيسي باسم جاكرتا للتوسع ينظر:

http://en.wikipedia.org/wiki/History_of_Jakarta

٢٠- اتفاقية لندن: وقعت بتاريخ ١٣ آب ١٨١٤ بين بريطانيا وهولندا بعد نهاية الحروب النابليونية في أوربا، إذ استعادت فيها بريطانيا كل ممتلكاتها منذ عام ١٨٠٣ في الأميركيتين وافريقيا واسيا بما فيها مستعمرة الكيب التي تحتلها هولندا للتوسع ينظر:

E.S.C.D., Cession of The Cape to Great Breat Britain, August 13, 1814, Doc. No. 16, p. 19.

٢١- مؤتمر فيينا: عقد عام ١٨١٥ بعد نهاية الحروب النابليونية، لإعادة تنظيم أوربا، والتوازن الدولي على أساس إرجاع الملوك الذي قضى نابليون على سلطانهم إلى عروشهم، وقد عكس هذا المؤتمر إرادة الدول المنتصرة في الحرب(بريطانيا، النمسا، بروسيا،روسيا) من دون الالتفات إلى رغبات الشعوب في التحرر التي تأثرت بمبادئ الثورة الفرنسية وأفكارها. لذا كان من الأهمية ليمثل حداً فاصلاً في التاريخ الأوربي. للتوسع ينظر:

Webster C.K., The Congress of Vienna, Oxford University Press, (London, 1919).

22- E.S.C.D., Surrender of Cape Town to The British, January 10, 1806, Doc. No. 11, p.14.

٢٣- عقيدة الشعب المختار: عقيدة اجتماعية دينية تبنتها الكنيسة البروتستانتية الهولندية الإصلاحية جاء بها المصلح الديني الفرنسي كالفن Calvin (١٥٠٩-١٥٦٤)، الذي كان له دور فاعل في تطوير علم اللاهوت المسيحي، ودعا إلى حركة الإصلاح الديني التي تدعى (الكالفينية)، ترك مذهب الكاثوليك عام ١٥٢٠ بعد أن أثارت التوترات الدينية انتفاضة عنيفة ضد البروتستانت في فرنسا فهرب إلى سويسرا عام ١٥٣٦ لينشر أول عمل له في طريق الإصلاح الديني ومن ثم أصبح رئيسا لكنيسة اللاجئين الفرنسيين في جنيف، فأصبحت أفكاره مذهبا للبروتستانتية وسميت بالكالفينية، للتوسع ينظر:

Bernard Cottret, Calvin A Biography, Edition 2, Eerdmans Press, (Grand rapids, 2000).

٢٤- الجمعية التبشيرية: تأسست عام ١٧٩٥ في لندن بقيادة المبشر كاري ، ثم تأسست مثيلاتها في عدد من الدول الأوربية. وتوالى تأسيس الجمعيات التبشيرية في بريطانيا فأنشأت في عام ١٨٥٥ جمعية الشبان المتطوعين للتبشير في البلاد الأجنبية ، ثم تنوعت جمعيات التبشير ، وتخصصت كل جمعية بما يتلاءم مع الحقبة التاريخية التي تمر بها السياسة البريطانية، فأنشأت جمعيات لتبشير النساء، وأنشأ في عام ١٩٠٢ جمعية تبشير الشبان، ثم ١٩٠٧ تأسست جمعية تبشير الكهول. كانت مهمتها الرئيسة نشر الديانة المسيحية وتلبية مطالب الاستعمار البريطاني في البلدان المستعمرة. للتوسع ينظر:

William Ellis, History of The London Missionary Society, Oxford University Press, (Oxford, N.D).

25- E.S.C.D.,The Emancipation of The Slaves, August28, 1833, Doc No 23, p. 38.

26- E.S.C.D., Attorney – General's Opinion Regarding The Great Trek, August 13, 1836, Doc. No. 93, p. 145.

27- George Theal, History of South Africa The Republics and Native Territories from 1854 to 1872, London Press, (Michigan, 1889), p. 25.

28- George Theal, South Africa The Cap Colony, Natal, Orange Free State, South African Republic, and all other Territories South of The Zambezi, Putnam Press, (Michigan, 1894), p.299.

29- E.S.C.D., Resolution of The Volksraad, September 23, 1858, Doc. No. 187, p. 419.

٣٠- جدوين . س. وير، تاريخ جنوب افريقيا، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، (الرياض، ١٩٨٦) ، ص ١٦٣.

٣١- لطفي جعفر فرج، سياسة التمييز العنصري في جنوب افريقيا وموقف العراق منها،معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية، سلسلة الدراسات الإفريقية، دراسة رقم (١٣)، (بغداد، ١٩٨٦)، ص٤-٥ .

32-E.F.A.D., Letter From The Delegation of India to The United Nations, Addressed to The Secretary-General of The United Nations, Requesting The Inclusion of an Item, "Treatment of Indians in The Union of South Africa", on The Agenda of The General Assembly, New York. 22 June 1946, P.190.

٣٣- سهير عواد أيوب الكبيسي، حزب المؤتمر الوطني الإفريقي ١٩١٢ – ١٩٦٧ ، رسالة ماجستير غير منشوره، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد، ٢٠٠٢، ص ٣٤ .

٣٤- خميس دهام حميد، النظام السياسي ومشكلات الوحدة الوطنية في دولة جنوب افريقيا، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٢ ، ص٣٢ .

35- S.B.B.D., Madras Merchants Protest Against an Order to Uncover and Remove their Boots in Court, Some 24 Indians Calling Themselves Madras Merchants, Residing and Trading in Durban, Submitted the Following Petition to the Resident Magistrate of Durban on 30 July 1883, Doc. No.1, Pp.1-3.

٣٦- خميس دهام حميد، المصدر السابق، ص٣٢ .

37- Mohandas K. Gandhi , Satyagraha in South-Africa , Ahmadabad Press, (India, 1928), Pp.21-22.

38- Enuga Sreenivasul Reddy (ed.), India and The Struggle Against Apartheid, New Delhi Press, (New Delhi, 1985), P.3.

٣٩- للتوسع حول غاندي، ينظر:

Mahadev Desai, M. K. Gandhi An Autobiography or The Story of my Experiments with Truth, Ahmadabad Press,(India, N.D).

40- Enuga Sreenivasul Reddy, Op. Cit, p.2.

41- Timothy Conway, Mahatma Gandhi and The Principles of Satyagraha Truth-Force and Ahimsa Nonviolence, (London, 2000), Pp.11-15.

42- Seminar On Mahatma Gandhi's Philosophy On Peace: Lessons For The World Saturday 20 January 2007, MITC Hotel, Ayer Keroh, Melaka, Iksep, MGBM & MBM, p. 5.

٤٣- مستر اندروز، مهاتما غاندي: نشأته وعمله في جنوب افريقيا، ترجمة اسماعيل مظهر، مطبعة عيسى بابي الحلبي وشركاؤه، (مصر،١٩٣٤)، ص ٦٢.

٤٤- المصدر نفسه، ص ١٣٣.

45- Seminar On Mahatma Gandhi's Philosophy On Peace, Op. Cit., p. 5.

46- Govan Mbeki, The Struggle for Liberation in South Africa, ANC Press, (South Africa , N.D). P.3.

47- Enuga Sreenivasul Reddy, Op. Cit,. Pp, 2-4.

٤٨- ثورة الزولو: قامت الثورة بسبب إلحاق عام أراضي الزولو الواقعة في الناتال التابعة للبوير عام في ١٨٩٤، الأمر الذي أدى إلى خسارة الزولو المزيد من أراضيهم لصالح البوير، وقد تحولت ضمن الحقبة ١٩٠٢-١٩٠٤ ثلثا الأراضي إلى مستقرات بويرية، وفي عام ١٩٠٦ فرض البوير ضريبة الرأس على سكان المنطقة الأصليين، مما أشعل فتيل الثورة بقيادة البامباتا التي راح ضحيتها ٢٣ من البوير و٣٠٠٠ افريقيا. للتوسع ينظر: جدوين . س. وير، المصدر السابق، ص، ١٣٨؛

Patrick Harries,Imagery,Symbolism and Tradition in a South African Bantustan: Mangosuthu Buthelezi, Inkatha, and Zulu History, History and Theory, Vol. 32, No. 4, Beiheft 32: History Making in Africa, 1993, pp. 109-111.

٤٩- سيسل رودس: ١٨٥٣-١٩٠٢، بريطاني جاء إلى الناتال عام ١٨٧٠ وهو في السابعة عشر من عمره، ليمارس العمل في الزراعة، وفي عام ١٨٧٢ قرر الذهاب إلى مدينة كمبرلي ليعمل في صناعة الماس، ومن خلال العمل الشاق استطاع تأسيس شركة بريطانية سيطرت على تجارة الماس

في جنوب افريقيا، فاستطاع إكمال تعليمه في جامعة أكسفورد، وفي سنة ١٨٨١ أصبح عضواً في برلمان الكيب، وبعدها بتسع سنوات نصب رئيساً لوزراء حكومة الكيب. للتوسع ينظر:

Catherine Radziwill, Cecil Rhodes Man and Empire – Maker, Gutenberg Press, (London, 1918); Richard A. McFarlane, Historiography of Selected Works on Cecil John Rhodes (1853–1902), History in Africa, Vol. 34, 2007, Published by African Studies Association, pp. 437-446.

٥٠- غاندي، في سبيل الحق أو قصة حياتي، ترجمة محمد سامي عاشور، دار المعارف بمصر، (القاهرة، ١٩٦٩)، ص ١٦٧ .

٥١- المصدر نفسه، ص ١٦٩ .

52- Timothy Conway, Op. Cit., Pp.1-2.

53- Surendra Bhana and Goolam Vadeh, The Making of a Social Reformer, Gandhi In South Africa, 1893-1914, (India, N.D),P.10.

٥٤- غاندي، المصدر السابق، ص ١٧٦ .

55- S.B.B.D., Mass Meeting at The Empire Theatre, Johannesburg, 11 September 1906.Doc .No,45.Pp.9-20.

56- Ibid., Gandhi Explains Satyagraha, Doc.No,44 , P.5. .

57- Enuga Sreenivasul Reddy, Op. Cit., P.3;

يوسف سعد يوسف، عظماء من العالم (غاندي)،المركز العربي الحديث، (القاهرة، د.ت ص٣٨-٣٩.

٥٨- غاندي، المصدر السابق، ص ١٧٨ .

٥٩- المصدر نفسه، ص ١٧٨- ١٧٩ .

٦٠- يوسف سعد يوسف، المصدر السابق، ص٣٩ -٤١ .

٦١- المصدر نفسه.

٦٢- غاندي، المصدر السابق، ص ١٨٠ .

63- S.B.B.D., Satyagraha Versus Passive Resistance, Doc. No. 46, P. 9.

٦٤- جان سمطس: (١٨٧٠ – ١٩٥٠)، من أسره هولندية بويريه غنية في مدينة كيب تاون، وكانت عائلته تمتلك مزرعة كبيرة في جنوب افريقيا ولكنه لم يكن مهتماً بالزراعة بقدر ما كان مهتماً بدراسة القانون التي تلقاها في بريطانيا وعند تخرجه عاد إلى جنوب افريقيا لينظم إلى الجيش البويري، الامر الذي فسح له المجال في ممارسة السياسة، شارك في الحروب البويرية ضد بريطانيا، واشترك مع بوثا في تأسيس حزب الشعب عام ١٩٠٥، أصبح رئيساً لوزراء اتحاد جنوب افريقيا خلال الحقبة من عام ١٩١٩ ـ١٩٢٤ ثم من ١٩٣٩-١٩٤٨. للتوسع ينظر:

F. S. Crafford, Jan Smuts: A Biography, Doubleday, Doran & co., inc., (Garden City, NY. , 1943); Naphtali Levi, Jan Smuts, Biblio Bazaar Press, (London,2008).

65- Mahadev Desai, Op.Cit.,P.172.

66- Mohandas K. Gandhi, Op.Cit.,Pp.94-95.

67- S.B.B.D., The Certificates are Burned, 16 August 1908, Doc. No.49, Pp,33-38.

٦٨- غاندي، المصدر السابق، ص ٨٣ .

69- Enuga Sreenivasul Reddy, Op. Cit, Pp.3-4.

٧٠- هاريمان كالينباش: (١٨٧١-١٩٤٥)، من أصول ألمانية يهودية، عمل معلماً للغة العبرية ومن ثم تاجر للخشب، سافر إلى جنوب افريقيا للالتحاق بأفراد عائلته التي تقطن هناك عام ١٨٩٦، التقى بغاندي عام ١٩٠٤ وتأثر بأفكاره، وتبنى قضيته وقضية الهنود في جنوب افريقيا، وقام بتقديم الدعم المادي والمعنوي الذي كان له ابلغ الأثر في انتصار الساتياكراها في جنوب افريقيا. للتوسع ينظر:

http://www.artefacts.co.za/main/Buildings/archframes.php?archid=864

71- Mohandas K. Gandhi, Op.Cit.,Pp,144-145.

72- Nelson Mandela, Gandhi The Prisoner A Comparison of Prison Experiences and Conditions of Mahatma Gandhi and Nelson Mandela in South Africa, ANC Press , (South Africa, N.D), P.1.

73- Anu Bandopadhyaya, Bahuroopee Gandhi, (India, N.D),P.47.

74- Mohandas K. Gandhi, Op. Cit., Pp.144-149.

75- Enuga Sreenivasul Reddy, Op. Cit, Pp.3-4.

76- S.B.B.D.,The Campaign Resumed, March6,1913, Doc. No.50, Pp.24-25.

77- Enuga Sreenivasul Reddy, Gandhiji's Vision of A Free South Africa, New Delhi Press, (New York, N.D), P.8.

78- James D. Hunt, Gandhi and The Black People of South Africa, Shaw University Press, (Shaw.1990) ,Pp,3-4.

79- Mohandas K. Gandhi, Op. Cit., Pp.169-170.

80- Ibid.,171.

81- Ibid, P.176.

82- Ibid.,P.177.

83- Ibid.,Pp.180-181.

٨٤- غاندي، المصدر السابق، ص ١٩٥.

85- Mohandas K. Gandhi, Op. Cit., P.177.

86- Ibid.

87- S.B.B.D., The Gandhi-Smuts Compromise Explained, November 11، 1913, Doc. No.46, Pp. 21-25.

٨٨- غاندي، المصدر السابق، ص٢٠١ .

89- Enuga Sreenivasul Reddy, Gandhi and South Africa 1914-1948 , Navajivan Publishing House, (Ahmadabad, 1993), Pp.33-35.90- Ibid., P.36.

91- James D. Hun, Op. Cit., P.5.

92- Enuga Sreenivasul Reddy, Gandhiji's Vision of A Free South … , P.8.

93- Ibid.

94- James D. Hunt ،Op. Cit., P.6.

95- Enuga Sreenivasul Reddy, Gandhiji's Vision of A Free Sout … , Pp.8-9.

96- Anu Bandopadhyaya, Op.Cit.,P.47.

97- Mohandas K. Gandhi, Satyagraha in South … , P.120.

98- Mahadev Desai, Op. Cit., P.213.

99- مجدي سلامه، غاندي مقاتل بلا حروب ١٨٦٩-١٩٤٨، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، (القاهرة، ٢٠٠٢)، ص ٤٣.

100- S.B.B.D., The Satyagraha Campaign Ends, 30 June 1914, Doc. No.51, Pp. 42-45.

101-Madhu Dandwate,Gandhi's HumanTouch(Lecture),
(London,N.D), P.11; مجدي سلامة، المصدر السابق، ص٤٤